إلى عاصمة الثورة.. حمص

سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/pages/Souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (8) | 2011/11/13 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

أحد جدران بيوت حي باب عمرو بحمص

حمص تحمل الثورة على صليبها وتجره نحو قيامة الحرية

هنا حمص.. فجر مدمىً بخيوط الأمل، ليل الجثث المتفتحة ببراعم الحرية، أنين أكف تزم موتها إلى سماءٍ بلا بدايات بلا إيديولوجيات بلا حديد يصهر اللحم المتورد على خدود الأجنّة.. نجمة ليلنا الغريب، ليلنا الموحش.. أنشودة الحلوق المحزوزة.. ورقصة الألم الجميل..

يشتدّ الحصار، وتدكُّ أحياء المدينة بالقنابل. حرب على الحياة تخوضها أحياء المدينة، من بابا عمرو إلى باب سباع إلى البياضة مروراً بالخالدية تتفجر البطولات، تُسقِط هذه الأحياء الصغيرة جبروت النظام وقوته، وتسقط أسطورته العاتية، وترمي به متخبطاً مثل غول جريح. تشتعل الأكف كل مساء وتصدح الحناجر ويلعلع الرصاص وتدوي الإنفجارات، وحمص تتحدى العالم.. تتحدى ذلك الصمت المخزي.. تتحدى ذلك الكفر بجغرافيا البلاد الواسعة.

وفي البيوت الصغيرة ومن الأزقة والحواري والشوارع كانت حمص ماكينة لإبداع الثوار.. ومددها الأول بالروح المتجددة. وبالرغم من كل القسوة والألم التي كانت تعبر مساءاتنا المغمسة بطعم الدم والجثث، كانت حمص ترسم الابتسامة على وجوهنا وتمدنا بالعزم ويشحذ أبطالها هممنا لنتغنى بها ونقول حمصنا يا حمصنا الجميلة..

والآن تختلف المعارضة في الداخل والخارج وحمص صامدة.. نخون بعضنا ونخوض النقاشات العقيمة وحمص صابرة.. نجلس في المقاهي والملاهي والمطاعم ونرقص على إيقاع حزننا وحمص تهرب الحياة من ثقوب الرصاص التي تدرز أسباب الحياة.. وحمص تحمل الثورة على صليبها وتجره نحو قيامة الحرية..

ليس ثمّة الكثير ممّا يقال.. لكن ثمّة الكثير مما يمكن أن يفعل.. هي اللحظة المناسبة لنستطيع مؤازرة مدينة الثورة المنكوبة.. لحظة يمكننا فيها أن نوحد أفكارنا وجهودنا وفاءً للمدينة التي تتحمل وزر صمت الكثير من المدن الأخرى. هي لحظة نستطيع فيها أن نحقق ما عجزنا عن تحقيقه طوال تلك الشهور العصيبة.. هي لحظة يمكن أن نرمي خلالها كل ضغائننا وأحقادنا ومشاكلنا لنلتف حول أخوة لنا دفعوا بالثورة إلى أشدها وحافظوا على استمراريتها رغم كل محاولات وأدها.

ستنهض حمص من ألمها.. وستضمد جراحها النازفة وسيعود أبطالها ليمدوا الثورة بروحها الجميلة، بألقها وتوقدها.. لكن هل ستغفر صمتنا وتقاعسنا وخلافاتنا؟ هل سنغفر لأنفسنا ذلك؟

سوريتنا

في هذا العدد

الافتتاحية 1
حمص تحمل الثورة على صليبها...
أخبارنا 3-2
أوجاع وطن 3
المجلس الذى لا يحترم حق الآخر بالاختلاف لا يمثلني
الملف ..... 5 - 4
قراءة في تاريخ الدستور السوري
كلمة في الثورة 6
المعادلة السورية
من الربيع العربي 7
من فلسطين.. في كذبة المقاومة والممانعة
حكايا الثورة 8
دندنات إندساسية 9
نبض الروح 10
يا نحن 11
مدننا الثائرة 12
من أعمدة الصحافة 13
الصفحة القانونية 14
وجوه من وطني 15
حبر ناشف 17

صور حمص خاصة بسوريتنا من مصورنا بحمص

ناشط من بابا عمرو لـ «الشرق الأوسط»:

اعتقال جرحى من المستشفيات.. وقصف البيوت عشوائياً

تحاصر دبابات الجيش السوري حي بابا عمرو في حمص، ويعيش السكان «حالة رعب» جراء القصف العشوائي للبيوت والمحال، بحسب ناشطين يؤكدون أنه «ليس هناك زاروب في بابا عمرو لا يوجد فيه حاجز أمني».

يؤكد أحد الناشطين الميدانيين من بابا عمرو في اتصال مع «الشرق الأوسط»، أن الوضع في المنطقة «مأساوي». ويرجح أن «حصار الحي يعود لأسباب كثيرة؛ أهمها: تصرف النظام كالعصابات دفعه إلى بث الذعر في قلوب الناس ونهرهم عما بدأوه من حراك، حيث يتعامل النظام مع السكان المدنيين بطرق ترهيب من خلال حصار البيوت وقصفها عشوائياً وإحداث أضرار مادية ومعنوية لديهم، وهو مقتنع أنه يستطيع من خلال ذلك دفعهم عن المطالبة بإسقاطه». ويضيف أن «بابا عمرو يعتبر من الأحياء الأكثر انتفاضة منذ بداية الحراك السوري، والنظام يستهدفه لأن المظاهرات الحاشدة في حمص تخرج منه».

ويشير إلى أن «السبب الأساسي لحصار الحي يعود إلى انشقاق 90 جندياً وضابطاً من الجيش السوري من منطقة باب السباع القريبة من بابا عمرو، حيث إن النظام مقتنع أن هؤلاء لجأوا إليه، لأنها منطقة مفتوحة وكبيرة وموصولة بقرى تؤدي إلى لبنان مما يعني بالنسبة للنظام أن هؤلاء يستطيعون الفرار والهرب إلى الداخل اللبناني عبر لجوئهم لبابا عمرو». ويؤكد الناشط أن «النظام صار يتبع سياسة جديدة في الاستهداف والقصف، لاعباً على الوتر الطائفي؛ حيث يقصف المساجد ليؤكد أن هناك طرفاً يستهدف السكان من خلال «شبيحته»، ومن خلال إشاعة أخبار أن هناك طائفة ما مستهدفة، ومشيراً إلى أن «عدد القتلى في بابا عمرو منذ بدء الانتفاضة يصل إلى أكثر من 120 شخصاً».

ويقول الناشط إن الحي الممتد عبر شوارع فرعية إلى حي الإنشاءات، لا يزال مزنراً بـ«النار وآلة القتل الهمجية»، موضحاً أن «الحي مغلق تحت الحصار الكامل، فالمياه مقطوعة والكهرباء أيضاً، ولا توجد خطوط اتصالات أرضية كانت أم خليوية». ويضيف أن «أجهزة الأمن السورية تزرع الحواجز بين الشوارع الصغيرة، وتمر الدبابات فيها وهي تقصف بشكل عشوائي البيوت وتدمرها». ويؤكد أن «هناك انتشاراً كثيفاً للعساكر والمدرعات لمنع الناشطين في الانتفاضة من الوصول إلى داخل حمص».

ويروي الناشط أن «بابا عمرو شهدت مرحلتين: المرحلة الأولى وهي الأطول منذ بداية الانتفاضة، حيث توزعت الحواجز الأمنية في كل شارع مثلها مثل باقي الأحياء والشوارع في حمص، والتفتيش صار يضيق على الناس ويعوق حياتهم اليومية. أما المرحلة الثانية، فهي نقطة التحول في بابا عمرو، ومنذ يوم جمعة الحظر الجوي أصبح التفتيش يشمل النساء والأطفال والرجال المسنين، ومن بعدها تم إغلاق الحي بالكامل، وهناك حالة (تكثيف) أمني في الحي مرعبة». ويضيف: «بدأ القصف الهمجي منذ سبعة أيام تحديداً. طال القصف بيوتاً ومحالا وسيارات للسكان المدنيين. وقد قتل خلال هذه الأيام 40 شخصاً؛ من بينهم طفلان و3 نساء و3 رجال مسنين». ويشير إلى أن «عائلات كاملة طالها القصف داخل بيوتها الآمنة».

ويقول الناشط إنه يوم أمس «تم اعتقال الجرحى من المستشفيات وتمت مصادرة معدات الإسعاف وضربت البيوت، حيث بلغ عدد البيوت المستهدفة حتى اليوم 100 منزل». ويضيف: «النظام يعتقل السكان بشكل عشوائي... لا يعتقلون أحداً معيناً... كل من يجدونه أمامهم يعتقلونه من عمر 14 إلى السبعين، حيث إن هناك رجلا مسناً يبلغ الخامسة والسبعين هو معتقل لدى الأجهزة الأمنية». وأكد فارس أنه من المستحيل الخروج من البيت إلى الشارع في هذه الأيام حيث الحي مكبل بالحصار، معتبراً الخروج من البيت أشبه بـ«المغامرة».

ويروي الشاب العشريني حكاية امرأة التقى بها في حي الإنشاءات استطاعت ترك بابا عمرو منذ يومين. ويقول: «خرجت المرأة مع طفلين لها بعد أن فقد زوجها منذ 5 أيام، استطاعت الهرب من بابا عمرو بعد أن قدمت مصاغها الذي يقدر بـ500 ألف ليرة سورية لأحد المسؤولين الأمنيين في المنطقة رشوة لإخراجها»، مضيفاً: «عانت المرأة من قصف عنيف لبيتها. ابنها الصغير شج رأسه وكان رأسه ملتهباً حين رأيته معها وحالته سيئة حيث لم يتلق العلاج الكافي ولا يأخذ مضادات أو أدوية للعلاج. كان مصدوماً ولم نستطع أن نكلمه أو يكلمنا. وقد روت لي السيدة أن جيرانها يعيشون حالة خطرة حيث إن كثيرين منهم قتلوا جراء القصف العشوائي للبيوت».

ثمانية أشهر من الاحتجاجات تلحق ضررًا فادحًا بالاقتصاد السوري

تعرّض الاقتصاد السوري لضربة قوية سدّدتها قرابة ثمانية أشهر من قمع حركة الاحتجاج ضد الرئيس بشار الأسد والعقوبات الاقتصادية الغربية الرامية إلى الضغط على النظام السوري لوقف أعمال العنف. واعتبر معارضون أن "النظام يحاول تضييق الخناق على المناطق المتوترة لإشعارها بتأثير العقوبات الدولية.

وقال رامي عبد الرحمن رئيس المرصد السوري لحقوق الإنسان إن الأماكن التي تشهد أعتى حركات الاحتجاج، حيث تقمع التظاهرات بصورة شبه يومية "لا تشهد نشاطا تجاريا طبيعيا". وأوضح أن "العائلات تؤمّن بقاءها بفضل تضامن الأقرباء".

وأكد عبد الرحمن أن الناس في جبل الزاوية وفي إدلب (شمال غرب) وبعض أحياء حمص (وسط) وبانياس واللاذقية "تنقصهم الأموال، ويعيشون في الفقر". وأضاف الناشط في مجال حقوق الإنسان إن "العائلات تعاني نقصًا في مازوت التدفئة" لأن الفيول تستخدمه الدبابات السورية المنتشرة في أرجاء البلاد كافة.

وشكا سائق سيارة أجرة في دمشق قائلاً إنه بات يستخدم مدفأة كهربائية لتأمين التدفئة "يتعين أن ننتظر ثلاث إلى أربع ساعات للحصول على بضعة ليترات من المازوت". واعتبر معارضون أن "النظام يحاول تضييق الخناق على هذه المناطق المتوترة بهدف إشعارها بتأثير العقوبات الدولية" المفروضة على سوريا. والنشاط الاقتصادي بات بطيئاً. فحركة شراء السلع الاستهلاكية في أدنى مستوياتها والفنادق خالية.

وقد ألحقت أعمال العنف الضرر بالقطاع السياحي، الذي كان يستخدم 11٪ من اليد العاملة، وجنى أكثر من 7.6 مليارات دولار في 2010، أي 12 ٪ من إجمالي الناتج الداخلي، بحسب بول سالم مدير مركز كارنيغي للشرق الأوسط. وأكد سالم أن "التجارة الخارجية انخفضت أكثر من خمسين بالمئة، والاستثمارات الأجنبية توقفت، وتسارعت وتيرة هروب الرساميل" وخصوصاً نحو دبي.

وتحدث خبراء اقتصاديون ورجال أعمال سوريون عن تحويلات تفوق قيمتها أربعة مليارات دولار إلى خارج سوريا منذ بدء حركة الاحتجاج في آذار، في حين فقدت الليرة السورية 10٪ من قيمتها أمام الدولار الأميركي.

وفرض الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة عقوبات تجارية قاسية ضد النظام السوري للتنديد بالقمع الذي أوقع أكثر من 3500 قتيل في صفوف المدنيين، بحسب الأمم المتحدة. وبلغ الربح الفائت قرابة 450 مليون دولار شهرياً منذ الحظر الأوروبي، الذي تقرر في أيلول، على شحنات النفط السوري، الذي يشكل مصدراً رئيساً للعائدات، بحسب خبراء.

ويعد الإتحاد الاوروبي من جهة أخرى تجميداً لقروض بنك الاستثمار الأوروبي لسوريا في إطار مجموعة عقوبات جديدة. وفي 2009، قدم بنك الاستثمار الأوروبي 275 مليون يورو من القروض لقطاع الكهرباء في سوريا، وخمسين مليوناً لتحسين وضع البنى التحتية المدنية.

وفي أيلول، اعتبر وزير المالية السوري محمد جلياتي أن معدل النمو سيتراجع نحو 1 ٪، وأقرّ بأنه سيكون للعقوبات الأوروبية "انعكاس على التجارة والصناعة".

وكان حاكم البنك المركزي السوري أديب ميالة أوضح من جهته في نهاية آب أن "القطاع الأول الذي أصابته الضربة هو قطاع السياحة، الذي انخفضت عائداته بواقع 90 ٪، وسيكون المواطن أول المتضررين. والنقل والواردات والصناعة، كل شيء سيتعرّض أكثر فأكثر للإرباك، وستزداد البطالة والفقر".

لكن الاقتصاد السوري كان يواجه قبل حركة الاحتجاج تحديات كبيرة على علاقة بالفقر، الذي يطال 14٪ من 22 مليون نسمة، والبطالة التي تصيب أكثر من 20٪ من اليد العاملة الفعلية.

وكشف وزير الاقتصاد السوري محمد نضال الشعار في بداية تشرين الثاني أن "دعم السلع الأساسية لن يدوم، وأن الاقتصاد يمر بحالة طوارئ". وأشار إلى "ضرورة إيجاد وسائل ناجعة وسريعة لتنشيط الطلب والنهوض بالاقتصاد السوري، من خلال تمويل العجز ودعم الصادرات، التي تراجعت أخيرًا إلى مستويات ملحوظة".

أنا وولادي أولى بالمازوت من الدبابة

انطلقت يوم 11/13 حملة "أنا وولادي أولى بالمازوت من الدبابي" عن مجموعة «سوريا اليوم» التي تهدف للتعريف بمعاناة جزء كبير من السوريين من نقص المازوت نتيجة الحملة الأمنية العسكرية التي يقوم بها النظام السوري..

نص الحملة:

سكابا يا دموع العين سكاااابا، على المازوت الضايع بالدباااابا

متل هالأيام، كنت اسمع صوت عم ينادي بالحارة، مازوووووووووووت مازوووووووووووت... وينون بياعين المازوت؟ ما بقى سمعنا صوتن؟ ماعدنا سمعنا غير صوت القذائف وهدير المحركات

دبابات ومدرعات وآليات وشاحنات وباصات عم تتحرك من شمال سوريا لجنوبها، ومن شرقها لغربها، بالوقت اللي عيل كتيرة عم تعاني من البرد و آليات كتيرة مستخدمة بالزراعة عم تتعطل! هي الآليات اللي بيعيش من وراها الفلاحين

بمناطق حمص وصافيتا ما حدا عندو ولا تنكة مازوت ولا حتى عم يقدرو يلاقو بسعر أغلى من السوق. أما بمنطقة السلمية فلازم الواحد يجيب ورقة من رئيس شعبة الحزب ليقدر يجيب مازوت، وهي الورقة ما بتنعطى إلا للي أثبت ولاءو «الكامل» للرئيس

مازوتاتنا بالدبابة والدبابة ما بتدفي! صار المازوت يدمر البيوت على صحابها بدل ما يدفي البيوت وصحابها. هاد المازوت إلنا، من حقنا يدفينا ويساعدنا نعيش، مو يقتلنا

مصدر في مجلس الشيوخ الأميركي: الإمارات مستعدة لاستضافة الأسد

أثارت تصريحات مساعد وزيرة الخارجية جيفري فيلتمان القائلة بأن «قادة عرباً بدأوا باقتراح اللجوء على الرئيس السوري بشار الأسد لدفعه إلى التخلي عن السلطة بهدوء وبسرعة» حشرية بعض أعضاء مجلس الشيوخ من الحاضرين، فتداعى بعضهم، إثر انتهاء جلسة الاستماع ، إلى معرفة هوية الدولة العربية التي تبدي استعدادها لتستضيف الأسد في منفاه. صحيفة «الرأي» الكويتية سألت أحد كبار مساعدي أعضاء مجلس الشيوخ عن هوية الدولة العربية كما رشحت إليهم، فأجاب: «الإمارات العربية المتحدة».

لماذا الإمارات؟ المعلومات المتوافرة شحيحة، ولكن العاملين في مجلس الشيوخ أشاروا إلى أنه «يبدو أن حكومة الإمارات هي الوحيدة من بين الدول الخليجية التي حافظت على علاقة جيدة بعائلة الأسد»، وأن «الإمارات هي الدولة الخليجية الوحيدة (إلى جانب سلطنة عمان) التي لم تسحب سفيرها من دمشق».

وكانت قطر السباقة من بين دول مجلس التعاون الخليجي في سحب سفيرها وإغلاق سفارتها في دمشق في 20 تموز الماضي، تبعتها كل من السعودية والكويت والبحرين في 8 آب. وحدهما عمان والإمارات من دول المجلس أبقتا سفيرهما في سورية رغم مرور ثمانية أشهر على اندلاع الثورة المطالبة برحيل الأسد.

كذلك علمت «الرأي» أن جزءاً كبيراً من «الثروة الشخصية للأسد وعائلته هي في مصارف إماراتية»، خصوصا بعد قيام دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وعدد كبير من دول العالم بتجميد أرصدة الأسد، وعدد من كبار المسؤولين السوريين، فضلاً عن مؤسسات رسمية سورية مثل المصرف المركزي.

وقال أحد المصادر: «يبدو أن الإمارات قادرة على ضمان الموارد المالية التي يستخدمها الأسد والمقربون منه للإنفاق على أنفسهم»، مضيفا أن «الولايات المتحدة على علم بمحاولات قامت بها الإمارات، بمباركة عدد من العواصم العربية، لإقناع الأسد بالتخلي عن الحكم وانتقاله مع عائلته للعيش في منفى في الإمارات».

وعلقت بعض الأوساط الأميركية على تجاهل واشنطن استمرار العلاقة الإماراتية الجيدة بالأسد بالقول أن «على العالم أن يترك باباً مفتوحاً في وجه الأسد في حال قرر الخروج من أزمته في ربع الساعة الأخير». ولكن الأوساط نفسها استبعدت أن يختار الأسد الذهاب الى منفاه الإماراتي «لأن من وجدوا أنفسهم في وضع مشابه من قبله، مثل صدام حسين ومعمر القذافي، خسروا واقعيتهم وظلوا يعتقدون إن بإمكانهم الخروج من ورطتهم باستخدام المزيد من العنف، ولكن هذا التكتيك غالبا ما يفشل فيضيع هؤلاء فرص النجاة وينتهي بهم الأمر على نحو لم يكونوا يتصورونه يوما».

وكان فيلتمان افتتح الجلسة بالقول أن «الأسد يدمر سوريا ويزعزع المنطقة»، وأن رسالة واشنطن إلى الرئيس السوري يمكن تلخيصها بسهولة: «تنحَ جانبا ودع شعبك يقود المرحلة الانتقالية». واعتبر أن «الكثير تغير» داخل سورية منذ اندلاع الثورة، إذ توصل «عدد كبير من السوريين إلى خلاصة مفادها أنه على الأسد الرحيل».

وأضاف فيلتمان، مخاطباً أعضاء لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ: «كي يحافظ الأسد على السلطة، يتوجب على الجيش السوري احتلال بلاده». وتابع: «الأسد، من خلال وحشيته، بإمكانه تأخير العملية الانتقالية ولكن لن يكون بوسعه إيقافها».

ورأى أن الأسد يتمنى أن تتحول الثورة السورية إلى واحدة مسلحة، فتبرر له استخدام العنف ضد مواطنيه، وتؤدي إلى انقسام المعارضة السورية، ويخسر السوريون المنتفضون ضد الأسد تعاطف العالم معهم، معتبراً أن بعض الممارسات المسلحة من الثوار السوريين جاءت على خلفية الدفاع عن النفس، ولكن أكثرية الثوار مازالوا سلميين.

المجلس الذى لا يحترم حق الآخر بالاختلاف لا يمثلني

بيان من الدكتور برهان غليون عما حدث في القاهرة

الاعتداء الذي وقع على شخصيات سياسية سورية من هيئة التنسيق الوطني أمام مقر الجامعة العربية في القاهرة حدث خطير، يسيء إلى المجلس الوطني الذي أراد المعتصمون أن يعبروا عن دعمهم له، كما يسيء إلى المعارضة بأكلمها.

يسيء إلى المجلس لأنه أتي من طرف جمهور يعتبر المجلس الوطني ممثله، ويربط بشكل غير مباشر بين الولاء للمجلس ورفض الآخر وعدم القبول بالاختلاف في الرأي، حتى لو كان ذلك في صفوف المعارضة نفسها.

وهو يسيء للمعارضة السورية بأكملها لأنه يظهرها منقسمة ومتنازعة وغير قادرة على الوصول إلى موقف واحد، بل على ضبط خلافاتها، وبالتالي يقدم للنظام فرصة للمساس بالمعارضة والثورة واستخدام الاعتداء كدليل على عجزها عن التفاهم.

والحال أن المجلس الوطني لا يمثلنا إلا لأنه تجسيد لأملنا بالحرية والديمقراطية واحترام الآخر، وإلا فسيكون أداة لبناء ديكتاتورية جديدة ضحى الشعب بالآلاف من أرواح الشهداء من أجل الخلاص منها. وهو لا يمثلنا كشعب إلا لأنه يضم كل قوى المعارضة الممثلة للشعب ويجمع بينها ويضمن التعايش الديمقراطي في ما بينها. وليس لمعركته ومعركتنا قيمة إلا لأنها تبشر بسورية جديدة ديمقراطية وتعددية يقبل الجميع فيها بعضهم البعض بالتساوي بصرف النظر عن آراء الآخر ومواقفه السياسية. والعلاقات بين صفوف المعارضة هي صورة عن العلاقات التي نريدها في الدولة القادمة.

فإذا كنا غير قادرين على تحمل اختلافاتنا السياسية والفكرية اليوم فما هي مشروعية مطالبتنا بالحرية التي تعني الدفاع عن حق الجميع في أن يكون لهم رأيهم الخاص وأن الاحتكام للرأي العام بالوسائل السلمية هو الطريق الوحيد للوصول إلى الاجماع، أي إلى تحديد الأغلبية السياسية صاحبة القرار؟

إن الولاء للمجلس الوطني الذي يترجم بالتعصب للرأي عدم القبول بالآخر ليس ولاءً لثورة الحرية والكرامة. وضرب الناس ورشقهم بالحجارة إهانة لنا جميعاً ولثورتنا المباركة التي لا نزال نضحي من أجل انتصارها بالغالي والرخيص.

من هنا يشكل هذا الاعتداء اعتداءً على روح الثورة وفكرتها ومساسا بمشروعية نضالنا جميعا ضد النظام الطاغي. ولا بد لأولئك الذين قاموا بالاعتداء ومن حرضهم على فعله من الاعتذار عما فعلوه وتصحيح الخطأ الذي ارتكبوه وعدم العودة إليه.

وإنني إذ أدين بكل ما أملك من قوة هذا الفعل السقيم أعبر في الوقت نفسه عن تضامني الكامل مع أخوتنا في هيئة التنسيق الذين تعرضوا للإساءة وأغلبهم من المناضلين التاريخيين الذين قضوا سنوات طويلة في السجون وتعرضوا لشتى أنواع القهر والإهانة من النظام القائم. وأنا استغل مناسبة هذا الحدث المؤلم لأدعو جميع أخواتي وإخواني في الثورة والمعارضة إلى التركيز على ما يجمعنا لا على ما يفرقنا وإلى التسليم بأن الاختلاف في الرأي والموقف السياسي أمر طبيعي وحله الوحيد هو في الحوار والنقاش والاحتكام للرأي العام، لا بالعنف ولا بالاقصاء ولا بالإساءة أو بالتخوين وتشويه صورة الآخر. هذا هو الفصل الأول من أي حياة حرة وديمقراطية نرومها ونسعى من اجلها.

قراءة في تاريخ الدستور السوري

■ ياسر مرزوق

خاص سوريتنا

كانت سوريا عبر تاريخها رائدةً في مجال التشريع والقانون، فقد اكتشف علماء الآثار الكثير من القوانين المكتوبة في منطقة سوريا التاريخية تعود إلى مراحل وحضارات تاريخية مختلفة من بابلية، حثية، أكادية... يعود أقدمها إلى عام 2360 ق.م.

وتشكل الشرائع المختلفة في سوريا القديمة أول شرائع مكتوبة في تاريخ البشرية وضعت لتنظم العلاقات بين الأفراد على أساس العدل والمساواة، كما تعتبر الهيئات القضائية وتنظيماتها في حواضر الشرق القديم أول محاولة لتنظيم المؤسسات الحقوقية في مجتمع المدينة الذي أخذ شكله الأول في هذه المنطقة.

ومع استمرار المدنية في سوريا القديمة عبر التاريخ رغم كل الشوائب التي مرت بقيت سوريا مركز التشريع والتقنين على الأقل لمحيطها العربي.

نقلاً عن "أسعد الكوراني" في مذكراته (ذكريات وخواطر ص 263): "نص دستور الجمهورية عام 1950 على أن سوريا جزء من الأمة العربية وكان أول من اقترح هذا النص الدكتور سامي الميداني.... فأخذت المقترح لجنة إعداد الدستور في حينه وانتشرت بعد إذ في كل دساتير الأقطار العربية..."

مرت سوريا عبر تاريخها الحديث بنوعين من نظام الحكم، النظام النيابي "البرلماني"، والنظام الرئاسي، وسنعرض لكلا النظامين قبل الخوض في تاريخ الدستور السوري.

الدستور: هو القانون الأساسي الذي يحدد الشكل العام للدولة وينظم قواعد الحكم، ويوزع السلطات ويبين اختصاص كل منها، ويبين واجبات وحقوق مواطنيها، وكلمة دستور فارسية المنبت، وتعني القاعدة التي يعمل بمقتضاها كما تعني الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه، ويجب أن يكون للدستور وضع مميز عن باقي القوانين، بحيث يكون بمنأى عن خطر الأهواء والفورات الوقتية، وكافة القوانين الأخرى يجب أن تخضع للقواعد الدستورية أي ألا تتعارض مع الدستور، وكل قانون يتعارض معه يجب الحكم بإبطاله.

أهم ما يميز النظام البرلماني عن الرئاسي هو مسألة الفصل بين السلطات ومدى شدة أو مرونة الفصل، تنبغي الإشارة على أن نظام الحكم في سوريا منذ عام 1973 ليس نظاماً رئاسياً بالمعنى الأكاديمي، بل هو نظام مشوه ليس له سوى تسمية النظام الرئاسي الاستبدادي "راجع مقالنا المنشور في جريدة سوريتنا العدد السابق".

أول من نادى بالفصل بين السلطات هو الفقيه الفرنسي "مونتسكيو" حيث ورد في كتابه "روح الشرائع" في الجزء الحادي عشر من الفصل السادس: "في كل دول ثلاثة أنواع من السلطة، السلطة المشرعة، السلطة المنفذة للأمور الخاضعة لأمور الأمم، والسلطة المنفذة للأمور الخاضعة للقانون المدني (السلطة القضائية)".

وقد بنى "مونتسكيو" نظريته على أنها النظام الأمثل للحكم وقد كان لها الأثر الأكبر على مبادئ الثورة الفرنسية، حيث جاء في المادة 16 من إعلان حقوق الإنسان الفرنسي لعام1789: "كل مجتمع لا تؤمن فيه ضمانة الحقوق ولا يحدد فيه فصل السلطات فهو مجتمع بدون دستور".

وقد أدعى "مونتسكيو" بأن الهدف من فصل السلطات هو الحد من السلطة بواسطة سلطة أخرى بمعنى أن "السلطة توقف السلطة"، وقد اعتبر "مونتسكيو" أن الفصل بين السلطات الثلاث "تشريعية والتنفيذية والقضائية" يحقق تخصيصاً وتوازناً.

التخصص يظهر بقيام جهاز للتشريع وجهاز للتنفيذ وجهاز للرقابة. والتوازن ألا تطغى سلطة على سلطة أخرى.

النظام الرئاسي "نظام الفصل المتشدد بين السلطات": نشأ هذا النظام في أواخر القرن الثامن عشر أي بعد خمسين عاماً من نشوء النظام البرلماني وقام على أساس التمييز الوظيفي والعضوي للسلطات (هذا يعني أن كل سلطة مستقلة عن الأخرى ويمارسها جهاز مستقل)، هذه الصورة للنظام الرئاسي هي التي كرسها واضعو الدستور الأمريكي وأنشأت كل مؤسسات نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية على هذا الأساس.

وقد تبنت هذا النظام العديد من دول أمريكا الوسطى وأفريقيا إلا أن النظم في هذه البلدان اعتمدت على شخصانية السلطة المتمثلة بالرئيس الذي يقوم حكمه على قوة بوليسية قمعية تجعل دور المؤسسات الأخرى ملحقاً بدور رأس النظام (النظام السوري نموذجاً).

من أهم خصائص النظام الرئاسي التقليدي:

1 - أحادية رأس السلطة التنفيذية: لا يحتوي النظام الرئاسي على رئيس للوزراء بالمعنى التقليدي وليس فيه مجلس وزراء بل يحتوي على معاونين للرئيس لا يمتلكون مجتمعين سلطة تقريرية جماعية.

2 - انتخاب الرئيس مباشرةً من الشعب: من بديهيات النظام الرئاسي ألا ينتخب رئيس البلاد من البرلمان بل من الشعب مباشرةً وبالتالي لا يكون الرئيس مديناً للبرلمان بمنصبه.

3 - ضعف وسائل الضغط على الرئاسة.

4 - الفصل المتشدد بين السلطات.

النظام البرلماني: نظام قائم على فصل مرن للسلطات يسمح بالتعاون فيما بينها على أساس أنها مجبرة على أن (تسير بالتفاهم) حسب الصيغة التي طرحها "مونتسكيو": "وكان النظام البرلماني هو المطبق على الدساتير السورية منذ دستور الملك فيصل 1918 حتى عام 1958".

فالسلطة التنفيذية يتولاها رئيس الدولة ولكنها مع التطبيق العملي انتقلت إلى الحكومة والسلطة التشريعية يقوم بها البرلمان وكان الاتصال بين السلطتين يتم بواسطة الحكومة التي يعينها الرئيس بعد حصولها على ثقة البرلمان من هنا فإن الفصل غير واضح تماماً على صعيد الأجهزة كما أن الصلاحيات غير واضحة الحدود.

وكل من السلطتين تشريعية والتنفيذية تمتلك أسلحة ضد الأخرى الأمر الذي يمنع الشلل في مؤسسات السلطة.

أجهزة النظام البرلماني:

1 - البرلمان: هو الهيئة التشريعية ويتكون من أعضاء منتخبين من قبل الشعب وقد أقيمت هذه المؤسسة أصلاً للدفاع عن حقوق المواطنين فشملت صلاحياتها حتى المسائل المالية لأنها تطال المواطنين في أملاكهم والبرلمان في النظام البرلماني لا يخضع لأي سلطة على الإطلاق وهو يتمتع بحق انتخاب الرئيس "حسب الكتلة البرلمانية الأقوى" وهو يحاسب الحكومة على سياستها ويسقطها عند الضرورة بسحب ثقته منها.

2 - رئيس الدولة: يتولى رئيس الدولة السلطة التنفيذية إلا أنه عملياً يمارس السلطة الفعلية رئيس الوزراء أو الوزير الأول وذلك على المبدأ القائل "الرئيس يلي الأحكام ولا يحكم". والرئيس في كل الأحوال يعتمد على الوزراء في تسيير شؤون الدولة والوزراء في النظام البرلماني يشكلون هيئة "الحكومة" ولها صلاحيات اتخاذ القرارات النافذة، إذا فإن الرئيس في النظام البرلماني لايحكم بل يولي حكومته شؤون الحكم.

3 - الحكومة: في ظل النظام البرلماني تشكل الحكومة "مجلس الوزراء" هيئة تمارس السلطة التنفيذية وهي مسؤولة عن أعمالها أمام البرلمان.

خصائص النظام البرلماني التقليدي:

من أهم خصائصه وجود رأسين للسلطة التنفيذية ووجود حكومة مستقلة ونوع محدد من العلاقات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وفي هذا النظام يمتلك البرلمان كل الوسائل الكفيلة بالرقابة على الحكومة عن طريق امتلاكه سلاح نزع الثقة الذي يؤدي إلى سقوط الحكومة إذا وافقت الأكثرية البرلمانية على طرح الثقة كما يمتلك البرلمان حق سؤال الحكومة أو استجوابها تحت طائلة نزع الثقة عنها.

كما يتمتع أعضاء البرلمان في النظام البرلماني بخاصتين هامتين جداً هما :

1 - اللامسؤولية والتي تمنع ملاحقة عضو البرلمان من قبل القضاء بسبب مواقف يعلنها بواسطة خطاباته ومناقشاته في جلسات البرلمان.

2 - الحصانة: والتي تمنع ملاحقة العضو قضائياً بتهمة ارتكاب أي جرم إلا بعد موافقة المجلس الذي ينتمي إليه.

أما السلطة القضائية فالأصل أنها مستقلة ومصانة في كلا النظامين الرئاسي والبرلماني.

بعد التمييز بين النظامين سوف نعرض لتطور الدساتير في سوريا وصولاً إلى عصرنا الحالي:

في العهد العثماني:

تم الاحتلال العثماني لسوريا عام 1516 وجاءت الخلافة العثمانية التي كرست شكل الحكم الديني الاستبدادي المطلق، وقد كان أول دستور عصري عثماني هو الدستور الذي أقره السلطان عبد الحميد في عام 1876 والذي تضمن تحويل السلطة إلى ملكية دستورية برلمانية وأحدث مجلس الوزراء المسؤول أمام السلطة التشريعية المؤلفة من مجلسين:

1 - مجلس الأعيان والذي يعين السلطان أعضاءه مدى الحياة.

2 - مجلس المبعوثان أو النواب الذي ينتخب أعضاءه من الشعب لمدة أربع سنوات.

كما أعطى هذا الدستور بعض الضمانات للحريات الشخصية لجميع العثمانيين ولاستقلال القضاة وعدم عزلهم كما فرض التعليم الابتدائي الإلزامي، عُطل هذا الدستور عام 1878، وانهارت السلطنة العثمانية عام 1918 وسلخت سوريا عن تركيا رسمياً بموجب معاهدة سيفر 1920 خلال هذه الفترة القياسية التي طبق فيها الدستور العثماني تبوأ العديد من السوريين مناصب رسمية. محمد فوزي باشا العظم "وزيراً للأوقاف". "عبد الرحمن باشا اليوسف وزيراً للحج". "فارس بيك الخوري، بديع مؤيد العظم، عوني بيك القضماني، علي باشا الجزائري، أعضاء في مجلس المبعوثان".

في عهد الملك فيصل:

تم تأليف أول حكومة سورية برئاسة رضا باشا الركابي بعد دخول الملك فيصل إلى دمشق أوائل تشرين الأول 1918 وتم انتخاب المؤتمر السوري الذي بايع فيصل ملكاً على سوريا القديمة وانبثق عن المؤتمر لجنة مؤلفة من عشرين عضوا برئاسة هاشم الأتاسي، قامت بوضع مشروع دستور مؤلف من 147 مادة وتم عرضه على المؤتمر الذي أقر مواده في 13 تموز 1920.

من أبرز النقاط في دستور الملك فيصل:

1 - شكل الدولة اتحادي ولكل مقاطعة حكم ذاتي ومجلس نيابي وحكومة محلية.

2 - السلطة التنفيذية مسؤولة أمام السلطة التشريعية.

3 - السلطة التشريعية مؤلفة من مجلسين :-1 مجلس النواب الذي ينتخب بالاقتراع السري. -2 مجلس الشيوخ والمؤلف من نصف أعضاء منتخبين من نواب المقاطعات والنصف الآخر معين من الملك.

4 - النظام ملكي نيابي "برلماني".

5 - ضمانات واسعة للحريات المدنية والدينية والشخصية استناداً لشرعة حقوق الإنسان التي أعلنتها الثورة الفرنسية 1879.

لا بد من التأكيد على مادتين شديدتي الأهمية في دستور الملك فيصل: المادة "1" "حكومة المملكة العربية السورية حكومة مدنية نيابية عاصمتها دمشق "الشام" دين ملكها الإسلام. (هذا النص الدستوري هو الأول في المنطقة العربية سواء فيما يتعلق بنظام الحكم "حكومة مدنية" أو من حيث العلاقة بين الدين والدولة التي اقتصرت على ذكر دين رئيس الدولة)، والمادة "10" والتي انتصرت لحق المرأة في الانتخاب والترشح للمجلس النيابي.

عهد الانتداب الفرنسي:

تضمنت المادة 1 من صك الانتداب الصادر عام 1924 "تلتزم السلطة المنتدبة بأن تضع خلال ثلاث سنوات من بدء الانتداب قانوناً أساسياً لسوريا ولبنان" بعد تفجر الثورة السورية عام 1925 اضطر المندوب السامي في عام 1928 إلى إجراء أول انتخابات عامة وتم تأسيس أول لجنة دستورية مؤلفة من 27 نائباً أقرت مشروع دستور للبلاد عطله المندوب السامي "بونسو" فوراً وقام بحل اللجنة.

دستور عام 1930: في أيار عام 1930 أعلن المفوض السامي دستوراً على أساس مشروع 1928 وفي نفس الوقت أعلنت دساتير لكل من لبنان والاسكندرون ومنطقة العلويين وجبل الدروز. وفي عام 1932 جرت انتخابات نيابية بمقتضى

مشروع 1928 إلا أن النواب رفضوا القسم على هذا الدستور بسبب تقسيمه لسوريا والصلاحيات الواسعة لدولة الانتداب.

دستور عام 1943 في فترة حكم الجنرال "ديغول" جرت انتخابات نيابية وقرر المجلس النيابي إعادة العمل بدستور 1930 بعد إلغاء المادة 116 "المتضمنة صلاحيات سلطة الانتداب" وبعد إدخال منطقة العلويين وجبل الدروز في الدولة السورية.

من أبرز ميزات دستور 1943:

1 - يقيم الدستور دولة ذات نظام جمهوري نيابي "برلماني".

2 - يكفل الدستور الحقوق التقليدية للمواطن.

3 - يتولى مجلس النواب المنتخب من الشعب سلطة التشريع وانتخاب رئيس الجمهورية.

4 - مدة انتخاب رئيس الجمهورية خمس سنوات ولا يجوز إعادة انتخابه إلا بعد انقضاء خمس سنوات على رئاسته.

في 17 نيسان عام 1946 تم جلاء الفرنسيين عن سوريا وبقي العمل بدستور 1943 حتى عام 1949 حيث جرى إنقلاب حسني الزعيم.

انقلاب حسني الزعيم:

30 آذار 1949 حاول حسني الزعيم تحويل نظام الحكم إلى نظام رئاسي وحصر جميع الصلاحيات الاقتصادية والاجتماعية بيده وعمل على طغيان السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية ورفع مدة انتخاب رئيس الجمهورية إلى سبع سنوات إلا أن الوقت لم يسنح للزعيم لإقرار دستور مفصل على مقاسه.

انقلاب سامي الحناوي:

في 14 آب 1949 قام سامي الحناوي بانقلاب عسكري إلا أنه سلم الحكم للسلطة المدنية ووضع قانون انتخابات عامة وجرى انتخاب جمعية تأسيسية في 25 تشرين الثاني 1949 وأصدرت أحكاما دستورية مؤقتة، وانتخب هاشم الأتاسي رئيسا للدولة وتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية وفق دستور عام 1939 لحين وضع الدستور الجديد.

دستور عام 1950:

في 19 كانون الأول 1949 قام أديب الشيشكلي بانقلابه الأول وبقيت الحكومة على رأس عملها تحت سيطرة فعلية للشيشكلي وتم إقرار دستور 1950 في الخامس من أيلول ومن أهم خصائصه:

1 - النظام في سوريا نظام برلماني نيابي.

2 - مدة ولاية رئيس الجمهورية خمس سنوات.

3 - الفصل بين السلطات الثلاث ما جعل السلطة التشريعية هي الأولى وحصر السلطة التنفيذية في مجلس الوزراء وضمان استقلال القضاء وإحداث محكمة دستورية عليا.

رغم الإيجابيات الواضحة في دستور 1950 إلا أنه لم تتح له الفرصة للتطبيق حيث قام الشيشكلي بانقلابه الثاني في 2 كانون الأول 1951 وعطل الدستور وقام بوضع شبه دستور باسم "دستور المجلس العسكري الأعلى" حتى عام 1954، حيث عادت الحياة الديمقراطية لسوريا وتسلم هاشم الأتاسي رئاسة الدولة وعاد العمل بدستور 1950 وجرت انتخابات برلمانية وعاشت سوريا أزهى عصور الحياة الديمقراطية. "نقلاً عن بشير فنصة في كتابه (النكبات والمغامرات) صفحة 353 يقول: شهد جميع المعلقون السياسيون في العالم من أجانب وعرب أن هذه الانتخابات كانت أصدق معبر عن إرادة الشعب السوري وأنها جرت في جو من الحرية والنزاهة والحياد".

دستور الوحدة مع مصر:

أتت الوحدة مع مصر لتعصف بكل الإرث الديمقراطي السوري ولتدخل سوريا في نادي الدكتاتوريات.

ومن أهم ميزات الدستور المؤقت لعام 1958 والمؤلف من 73 مادة ما يلي:

1 - إنهاء الحكم النيابي البرلماني في سوريا وإقامة نظام رئاسي يعطي صلاحيات كبيرة لرئيس الجمهورية فهو الذي يعين السلطة التشريعية وله حق حلها وهو الذي يعين نواب الرئيس والوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويضع السياسة العامة للدولة ويصدر القوانين.... إلخ.

2 - يستبعد الدستور تعدد الأحزاب وينص على أن يشكل المواطنون اتحادا قوميا (نقلا عن باتريك سيل في كتابه حافظ الأسد والصراع على الشرق الأوسط صفحة 152 "يذكر حافظ الأسد أن جمال عبد الناصر كان يقول دائما أنا رجل شريف ومستقيم فما حاجتنا إلى الأحزاب").

3 - ينص الدستور على أن المجتمع يبنى على العدالة الاجتماعية "التي لم يعرف الشعب السوري أبسط أشكالها زمن الوحدة".

عهد الانفصال:

في 28 أيلول عام 1961 قام انقلاب عسكري في سوريا على يد عبد الكريم نحلاوي وأزاح عن الشعب السوري شبح الوحدة مع مصر وتم وضع دستور مؤقت في 2 كانون الأول من العام نفسه، وأهم ميزاته:

1 - تعديل اسم الجمهورية السورية ليصبح الجمهورية العربية السورية.

2 - تخويل رئيس الجمهورية بحق حل المجلس النيابي.

3 - منح السلطة التنفيذية صلاحية التشريع. "يلاحظ أن دستور 1961 كان هجينا بين النظامين البرلماني والرئاسي".

دستور 1964:

في 8 آذار 1963 قام مجموعة من العسكريين بقيادة ضباط حزب البعث بانقلاب عسكري ووضع السلطة بيد ما سمي المجلس الوطني لقيادة الثورة، ومع انقلاب الثامن من آذار بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحكم في سوريا تختلف اختلافا جذريا عن سابقاتها، حيث سيطر حزب البعث على مقاليد الأمور وانعطفت الدساتير في سوريا انعطافا حادا عن مفهوم القانون العام الغربي باتجاه القوانين العامة للنظم الاشتراكية بكل سلبياتها.

أهم ما تضمنه دستور 1964:

1 - مبدأ قيادة الحزب الواحد.

2 - تقسيم الحكم إلى سلطتين أو وظيفتين: -1 السلطة الإدارية يتولاها مجلس الوزراء وظيفته إدارية بحتة لا يملك أي قدرة سياسية. -2 السلطة السياسية ويتولاها مجلسان: الأول: المجلس الوطني للثورة، ويتولى السلطة التشريعية ويراقب أعمال السلطة التنفيذية، الثاني: المجلس الرئاسي والمنتخب أعضاءه ورئيسه من المجلس الوطني للثورة وهو يضع السياسة الداخلية والخارجية ويعين الوزراء ويقيلهم ويوجههم ويشرف على عملهم وله حق إلغاء وتعديل قراراتهم.

بدأ الصراع بين القيادة القومية لحزب البعث والتي تمثل ما يسمى تيار الاعتدال والقيادة القطرية والتي تتمثل بتيار التشدد وعلى رأسها حافظ الأسد وصلاح جديد.

أقرت القيادة القطرية لحزب البعث في مؤتمرها في آذار عام 1965 المبدأ التالي: (الحكومة خاضعة كليا للحزب والأمين القطري هو حكماً رئيس الدولة والقيادة القطرية هي التي تعين رئيس الوزراء ورئيس الأركان العامة وكبار القادة العسكريين).

دستور عام 1966:

أطاح انقلاب "حركة" 23 شباط 1966 والذي قادته القيادة القطرية لحزب البعث على الحكومة التي عينتها القيادة القومية بقيادة صلاح البيطار وصعد حافظ الأسد ليصبح وزيرا للدفاع وأصبح صلاح جديد الأمين العام المساعد للقيادة القطرية لحزب البعث الرجل الأول في سوريا وتم إيقاف العمل بدستور 1964 وصدر قرار عن القيادة القطرية لحزب البعث بالرقم 2 والذي سمي تجاوزا دستور عام 1966 وتضمن:

1 - السلطة السياسية: وتمثلها القيادة القطرية بذاتها (بينما في دستور 1964 كان يمثلها مجلس قيادة الثورة) وهي التي تعين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء ولها الحق في إقالتهم.

2 - السلطة الإدارية: ويمثلها رئيس الجمهورية والوزراء أيضا.

الدستور المؤقت 1969:

في أواخر 1969 عقد المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي لحزب البعث وتقرر إصدار دستور مؤقت لحين إصدار دستور دائم من قبل مجلس منتخب وقد صدر الدستور المؤقت في الأول من أيار من العام ذاته، وهو لا يختلف عن سابقه بشيء.

دستور عام 1973:

في تشرين الأول 1970 كان الصراع على أشده بين صلاح جديد الذي كان يسيطر على الحزب القائد والسلطة الإدارية وبين حافظ الأسد وزير الدفاع الذي سيطر على الجيش وفي 30 تشرين الأول عام 1970 عقد صلاح جديد المؤتمر الاستثنائي للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي وقرر تجريد حافظ الأسد وزير الدفاع ومصطفى طلاس رئيس الأركان من منصبيهما لكن الأسد كان قد نشر قواته حول قاعة المؤتمر وبعد انتهاءه في 12 تشرين الثاني من العام نفسه، قام باعتقال خصومه وأرسل صلاح جديد إلى سجن المزة.

في 16 تشرين الثاني أذيع بيان استلام الأسد للسلطة نتيجة لما سمي بالحركة التصحيحية وتسلم الأسد منصب رئيس الوزراء وعيّن أحمد الخطيب رئيساً للجمهورية كما عيّن قيادة قطرية مؤقتة لحزب البعث أصدرت لاحقاً الدستور المؤقت لعام 1971 وهو نفس دستور 1969.

كما قام الأسد بتعيين 173 عضواً في مجلس الشعب كلف بوضع الدستور الجديد. في 12 آذار 1971 أجري الاستفتاء الشعبي الذي أصبح الأسد بموجبه رئيساً للجمهورية.

نقلاً عن "باتريك سيل" في كتابه السابق الذكر صفحة 279: "لحل مشكلة هل يعتبر العلوي مسلماً لجأ الأسد إلى صديقه الزعيم الشيعي موسى الصدر رئيس المجلس الأعلى في لبنان الذي أفتى بأنه العلويين هم طائفة من المسلمين الشيعة"

وبالتالي تسلم الأسد الحكم في العام نفسه وبعدها بعامين في 12 آذار 1973 عرض الدستور على استفتاء وأقره الشعب.

مما يجب ذكره أن هذا الدستور لم يوضع من قبل جمعية تأسيسية كما كان مع دساتير 1920 ، 1943 و1950 و1961 بل جاء مشابها في وضعه إلى حد كبير لدستور الوحدة لعام 1958 والذي حظي بنسبة 99،9 ٪ من موافقة السوريين بالرغم من معارضة أغلبية الطيف السياسي والشعبي له في حينه. وكذا الحال باستفتاء 1973 فبعد عشر سنوات من حكم البعث والاعتقالات والتصفيات والتضليل الإعلامي حينها "راجع مقالنا عن قانون الإعلام جريدة سوريتنا العدد السادس" وخروج كل الطيف السياسي والأكاديمي الحقيقي من الحياة العامة في سوريا.

نقلاً عن "مونتسكيو" في رسائل فارسية يقول بلسان الوزير: "هناك تكلمت لغة لم تكن مألوفة حتى ذلك الحين لقد زلزلت أركان الغرف وبثثت الرعب في العابد والمعبود وعندما تبين لي أن صراحتي كونت لي أعداءً وأثارت ضغينة الرؤساء ولم أحصل على رضا الأمير وجدت نفسي وسط حاشية فاسدة لا اعتماد لمواجهتها إلا على فضيلة لا تواجه الفساد فقررت أن أغادر البلاط".

ونقلاً عن "أودن" في نصه (قلت للطاغية):"حين كان يضحك كان أعضاء مجلس الشيوخ الموقرون ينفجرون بالضحك، وحين كان يبكي كان الأطفال يموتون في الشوارع".

في العدد المقبل سوف نناقش دستور 1973 بالتفصيل ونوضح الفارق بينه وبين دستور 1950 وبذلك نكون مع مقالة صلاحيات رئيس الجمهورية "العدد السابق" قد أحطنا بملف الدستور السوري.

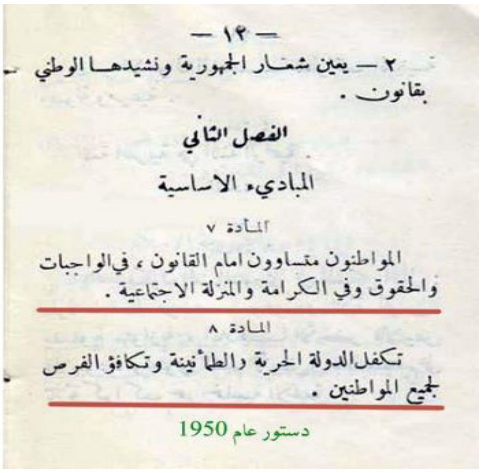

المعـــادلـــة الســـــورية

■ ي ٠ م

خاص سوريتنا

هذه المعادلة باتت فعلاً عصية على الفهم، وهذا الأمر ليس وليد هذه التحركات الشعبية في الشهور التسعة الأخيرة، ولكن الأمر يمتد إلى عقود ما قبل ذلك، وبالتحديد مع وصول حزب البعث إلى السلطة عام 1963 حيث لعبت معادلات دولية كبيرة وخفية دوراً هاماً وخطيراً في استمرار الحزب إلى ما يقارب من نصف قرن حتى اليوم رغم كل الإخفاقات الداخلية والتورطات الخارجية والسمعة الرديئة.

ولكثرة ما كتب في هذا الموضوع من كلا طرفي المعادلة السورية وهما المعارضة والنظام، فقد نشأت لدى الجمهور العربي بشكل عام والجمهور السوري بشكل خاص قناعة شبه أكيدة بوجود توافق بل وتفاهم عالمي على بقاء هذا النظام. بالنسبة للجمهور العربي كان قسم كبير منه على قناعة بأن سبب بقاء هذا النظام هو "ممانعته"، حيث انبهرت الجماهير خارج سوريا بالشعارات الرنانة وبعض حروب ما وراء الكواليس وخاصة في فترة ما بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، في ذات الوقت الذي كان الاعتقال العشوائي والتنكيل بالناس في أوجه تلك الفترة بدعوى "تقوية الجبهة الداخلية". وعلى النقيض من ذلك فقد كفر السوريون بكل شعارات الدنيا في تلك الفترة من هول ما رأوه وكل ذلك موثق في عدد لا يحصى من المؤلفات والكتب التي نشرها أشخاص عاشوا تلك الفترة سواء في المعتقلات أم خارجها، لم يكن ثمة فرق كبير.

اتضحت معالم المعادلة السورية أكثر فأكثر بعد الصفقة التاريخية بين النظام والولايات المتحدة عام 1991 إبان غزو العراق للكويت، حيث حصل النظام السوري على "الحقوق الحصرية" لاستباحة لبنان مقابل اشتراك الجيش السوري مع قوات التحالف الذي كان إلى وقت قريب آنذاك "امبريالياً" وتم تجنيد ٪80 من الموازنة العامة السورية (نظرياً) للتسلح والعسكرة لمحاربة هذه الامبريالية التي أضحت حليفاً استراتيجياً اليوم، وتم القضاء على الجيش اللبناني آنذاك ورضي النظام على مضض بخروج العماد ميشيل عون بسلام والذي قضى الأعوام الخمسة عشر اللاحقة في منفاه في باريس يحشد الحشود الإعلامية والحملات الصحفية ضد النظام السوري.

أما مباركة المعادلة السورية فقد ظهرت في أجلى عهودها لحظة وفاة الرئيس حافظ الأسد حيث يذكر الجميع حضور وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك مادلين أولبرايت للتعزية، كما يذكر الجميع أيضاً اجتماعها المغلق مع "الابن" بشار في ذات اليوم، وكان اجتماعه في اليوم التالي مع أركان القيادة العسكرية المخلصين لتأكيد البيعة وكان ما كان.

خلال الأعوام الأحد عشر الماضية مرت المعادلة السورية بعدة محطات بدا للكثيرين أنها حرجة، في حين أن المطلعين والمتعمقين والمحللين كانوا على يقين من أن كل هذه المحطات كانت مبنية على جملة تفاهمات وتوازنات إقليمية ودولية محكمة التدبير، ويكفي أن النظام السوري "نجا" من الركلات واللكمات العشوائية لجورج بوش الابن والتي أصابت عدداً هائلاً من دول العالم فأدت إلى ما أدت إليه من سقوط أنظمة وحروب أهلية ودمار داخلي. يحدث كل هذا وقد وقف النظام السوري ضد غزو العراق هذه المرة بل وفتح الحدود لمرور عشرات آلاف "المتحمسين" للحرب والجهاد ولكن لم يذكر أحد أنه أغلقها من خلفهم ولم يعد منهم إلا العشرات فقط!

كان النظام في خضم كل ذلك يمعن أكثر وأكثر في تحالفه الاستراتيجي مع إيران بينما كانت الأزمة تتصاعد مع حكم عراقي جديد على أنقاض النظام السابق بسبب معارضة سوريا للغزو الأمريكي، كما تفاقمت الأزمة مع تيار شعبي لبناني عريض بعد مقتل رفيق الحريري. وفي خضم هذه الأزمات تم افتعال حرب تموز 2006 وبدا للجميع أن عزلة النظام السوري تتزايد بسبب موقفه "الداعم" لحزب الله وكذلك الاتهامات الدولية المباشرة للنظام بقتل الحريري، وبدأت التحالفات العربية تبدو في ظاهرها منقسمة بين "معتدلين" و"متشددين" رغم أن التعريفين لم يكونا بالوضوح المطلوب، ولم يحضر القمة العربية في دمشق سوى دول المغرب العربي وقطر التي كان أميرها الصديق الصدوق لبشار الأسد وقد بدأ بلعب دور إقليمي ودولي محوري في المنطقة.

فجأة وبدون سابق إنذار، يزور الرئيس ساركوزي سوريا عام 2008، وتتم إزاحة ميليس عن اللجنة الدولية للتحقيق في مقتل الحريري. وكان المقابل غير المعلن حينها هو تمديد عقود شركة النفط الفرنسية المعروفة توتال لعشر سنوات أخرى في حقول النفط السورية في وقت بدأت فيه أسعار النفط بالارتفاع الحاد على مشارف الأزمة الاقتصادية العالمية، وكانت الشركة بموجب الاتفاق تحصل على ٪40 من عائدات النفط السورية لمدة عشر سنوات. بعدها بأقل من عام، يزور الملك عبد الله بن عبد العزيز سوريا ويتم تفعيل العلاقات المتدهورة كما حملت تلك الزيارة رسالة غير مباشرة إلى حكومة الحريري الابن في لبنان بضرورة "تجاوز" الماضي وهو ما انعكس عام 2010 بزيارتين لسعد الحريري إلى سوريا، بينما أصبح عدو الأمس ميشيل عون ليس صديقاً بل وحليفاً للنظام السوري، ناهيك عن تبدل مواقف جنبلاط 180 درجة.

كل تلك المعادلات الكبرى كانت تمر أمام الكثيرين معتبرين إياها مداً وجزراً في علاقة سوريا بالعالم، بل إن العديدين اعتبروها انتصاراً للنظام على المستوى الإقليمي والدولي وهو ما هيأ للنظام زخماً داخلياً حسبه سيدوم طويلاً. وتكمن المشكلة أن النظام راهن كثيراً على مسألة "الممانعة" ونسي الناس واحتياجاتهم وهمومهم اليومية من منطلق أن الأمور تحت السيطرة وأن النظام ربى الآباء على الطاعة فخرج الأبناء مسالمين مطيعين بعد أن دفع آباؤهم أثماناً غالية. لم يخطر ببال الرئيس أن يزور مستشفى أو دائرة حكومية بشكل مفاجئ ولا حتى مرة واحدة طيلة الأعوام الأحد عشر الماضية، بينما كان يجد الوقت لافتتاح فندق الفورسيزنز وزيارة المطاعم الراقية في دمشق وحلب وبدا له أن كل سوريا تحيا كمن رآهم في تلك المطاعم، سهر وضحك وسلام دون أن يعي وجود قرى لم تصلها الكهرباء حتى اليوم، وأماكن لم تدخلها بلدية في تاريخها.

تتعقد التركيبة السورية الداخلية مع التنوع الطائفي والعرقي الهائل، ورغم ما يتم إصداره هنا وهناك من بيانات تحض على الوحدة الوطنية وغيرها من هذه الأفكار المثالية، يقبع هناك في قاع المجتمع غضب محموم ورغبات دفينة بالانتقام، وباستعراض بسيط لما يكتب على موقع اجتماعي كالفيس بوك مثلاً، فإن حجم تبادل الشتائم والإهانات هو أضعاف حجم "الوحدة الوطنية" و"تقبل الآخر" وهي مصطلحات موجودة لدى بعض المثقفين والنخب التي بدا واضحاً أنها بعيدة كل البعد عن الشارع وعن ما يحدث فيه، وبالنظر العميق إلى الاحتجاجات والمظاهرات المندلعة في عدد كبير جداً من المناطق السورية نلاحظ بوضوح أن ما يجمع الناس في مظاهرة ما هو غالباً العشائرية أو المناطقية أو الطائفية في بعض الأماكن، وهو ما يفسر هذا الزخم الكبير للتظاهرات في حماه ودير الزور مثلاً، بينما يتقلص حجم الاحتجاجات في مدن أخرى ليقتصر على أحياء بعينها ينتمي أغلب سكانها إلى طائفة أو عصبية ما. ولست أعني بتقلص الاحتجاجات هنا التقليل من شأنها، ولكن الأمور في بلادنا مبنية على العصبيات وهذا أمر معروف، ومن هذا المنطلق راهن النظام على شيوخ العشائر ورجال الدين المسلمين والمسيحيين لعلمه بمدى انتماء الناس إلى الطائفة والعشيرة أكثر من انتمائهم للوطن، وهو ما يعكسه بوضوح تخريب المباني الحكومية في مدن المظاهرات بينما تتم حماية الشيوخ ورجال الدين.

لا يمكن لوم الناس اليوم وبشكل كامل على مظاهر التخريب أو الفوضى، فهؤلاء لم يخبروا أي ممارسة سياسية منذ عقود ناهيك عن آبائهم وحتى أجدادهم (إذا اعتبرنا وسطي أعمار من يخرجون في المظاهرات 22 عاماً)، وما تشرذم المعارضة في الخارج والداخل إلا أحد أهم تجليات القمع السياسي والفكري السائد منذ 1963، ولكنهم أيضاً يتحملون مسؤولية تجاه هذا الوطن الذي تتم شرذمته اليوم بشكل غير مسبوق (ولم تكن آخر حلقات هذا التشرذم انسحاب القوى الحزبية الكردية من مؤتمر الإنقاذ الوطني في اسطنبول بدعوى طلب تغيير اسم الجمهورية، وبقطع النظر عن ماهية المطلب إلا أنه من المبكر جداً الحديث عن توزيع التركة بينما لا يزال النظام موجوداً ولم يتبلور أي شيء بعد). يجب أن لا ننسى في غمرة مطالباتنا بالحرية والديمقراطية أن الرأي الآخر هو حق مشروع، ولهذا فعلينا أن نحذر من أنفسنا من الانجراف وراء نفس الأخطاء التي وقع فيها النظام طيلة الأعوام الطويلة الماضية، ألا وهي التخوين ورفض الآخر وشتم المخالفين، لقد بدأ اليوم الفرز المضاد وهو ما نعني به اعتبار كل متعاون مع النظام خائناً، ولا بد التمييز هنا بين أمرين: أن تكون متعاوناً مع النظام من أنك تدلي بمعلومات تفيد في قتل واعتقال المتظاهرين فهذه جريمة، أما أن تكون كأي موظف حكومي بسيط أو رجل شارع عامي صامت على الأغلب، فلا يجب هنا اعتبار ذلك خيانة وبالتالي لا يمكن نبذه من المجتمع. لقد مر العراقيون بهذه التجربة وقام الحكم الجديد بإصدار قانون أسموه "اجتثاث البعث" تم بموجبه اعتقال أو التنكيل بكل منتم لحزب البعث رغم أن الجميع يعلم أن الموظف لم يكن ليحصل على وظيفة دون انتسابه للحزب، ناهيك عن نشوء جماعات سرية تلاحق الموظفين الحكوميين بعد 2003 بدعوى أنهم عملاء للأمريكان ولأنهم يعملون تحت إمرة حكومة أمريكية، وكان ردي على ذلك دائماً بأن العراقيين لم يختاروا أساساً صدام حسين حتى يختاروا اليوم الأمريكان، إن أي موظف حكومي بسيط أنهى يوم عمله في أحد أيام آذار 2003 وكان صدام رئيساً جاء في اليوم التالي إلى نفس الوظيفة وقد أصبح الأمريكان أسياد الموقف، فهو مغلوب على أمره في الحالين.

إن الحراك الشعبي العارم في سوريا اليوم قرر أن يقلب الطاولة على كل المعادلات الدولية والسياسية، وقرر الناس أن يبذلوا الغالي والرخيص في سبيل مستقبل مشرق لهذا الوطن الذي آن لظلامه أن ينجلي وآن لقيوده أن تنكسر.

إن الرهان اليوم على حلول الفرصة الأخيرة أمام النظام الذي تبخرت كل وعوده بالإصلاح ودعواته للحوار وخصوصاً بعد أن ملأت الدماء شوارعنا وشاشات تلفزيوناتنا وعششت في عقولنا وبات محو آثارها وطلب الغفران من أصحابها أحد أبرز تحديات المرحلة المقبلة.

من فلسطين.. في كذبة المقاومة والممانعة

■ فدوى روحانا

خاص سوريتنا

لم أمش يوما في دروب الشام ولم تطأها خطواتي وربما لن تمنحني الحياة تلك المسرة ولكن الشام كانت دائما جائلة في دروب روحي وكأنني كنت دائما مسكونة بعبق دمشقي شرد من حدودها وحط لدي

وأنا شامية كما أنا فلسطينية. عندما عشت في مصر كان المصريون دائماً يبادرونني بالسؤال من أول لمحة "هل أنت شامية". إذ أنهم يعتبرون كل الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين "شواما" ويرون فينا روحاً واحدة. نعم أنا شامية، جدي الأول قدم إلى الكرمل من دير القمر اللبنانية سنة 1820، وقد يكون جده الأول بدوره قدم من سوريا، لا أدري، لكن هناك كانت بداياتي ونحن في جذر جذرنا واحد.

كوني ولدت في الداخل، أتيت الدنيا بطوق من شوك، محكومة بأن أعيش محاصرة بحدود تجمعني بالغرباء وتفرقني عن أبناء أمتي في الوطن العربي وكان هذا دافعي الأول لأن أغادر إلى مصر لأعيش فيها 13 سنة، حياتي في القاهرة اقتصت كثيراً من ذاكرتي الفلسطينية، وإذ عدت إلى البلاد في أواخر العام الماضي كان لدي الوقت لأن استكشف معالمها من جديد باحثة عن حضنها، لاجئة إلى وطن غربني وأنا منه وفيه ولو"عني وأنا مغتربة عنه، ومضيت في فلسطين أملأ بهوائها رئتي المرهقتين من هواء الغربة، وأعانق أشجارها الهرمات المعبقات برائحة أجدادي، وفلسطين أخت الشام، قطعتان من جسد واحد، ملتحمتان بوجع، مذبوحتان بأشواك الحدود التي غرسها في أرضنا الغرباء، وعلى حواف الوجع وعلى بعد ساعتين من الكرمل وجدتني في مواجهة معه، ذاك المستوحد والوحيد، ذاك المنزوي المنعكف المهموم الحزين الشجي، حبيس نسياننا، المترع بالأحلام المنسية والجميل حد البكاء، هو الجولان.

لم تكن المرة الاولى التي أدخله، زرته كثيراً في طفولتي وفي كل مرة كانت تأخذني الدهشة التي يقابلك بها الجولان بجنائنه، بأنهاره وثماره الشهية، وكنت أودعه كل طفولتي وأحلامها، محلقة في فضاءاته الرحبة وأنا مسكونة بالبهجة والبراءة من دون أن أتوقف لحظة لأفكر في السهولة التي وصلنا بها إليه أنا وأهلي من حيث نحن، بينما لا يستطيع السوريون أن يطؤوا أرضهم من حيث هم.

إنما زيارته خارج مراتع الطفولة وبعد اندلاع الثورة السورية كانت لها معانٍ أخرى وفتحت القلب على كل المواجع. أول ما دخلته صعقتني كما البرق اللافتات العبرية في شوارعه وصمت أذني اللغة الهجينة ما بين اللهجة السورية والمفردات العبرية، وأرعشني حزن أهله الصامت الصارخ، نحن هنا رغم النسيان، موجودون ولو نفينا عن وجدانكم، وزلزلتني في العمق الطمأنينة التي يعيش بها الاسرائيليون هناك، التي يستبيحون بها أرضه وخيراته بمنأى عن مبالاتنا وإدراكنا، وصفعتني الكلمتان اللتان لسنين عاشتا في أذهاننا مقترنتين بالنظام الحاكم في سوريا وبكبريائنا كفلسطينيين وكعرب في كل مكان : المقاومة والممانعة.

في الحقيقة عندما تواجهك هاتان الكلمتان تقف حائراً ما بين الشعار والحقيقة، الشعار الذي تود من صميم قلبك أن تصدقه وتتمسك به والحقيقة التي تؤكد لك مرة بعد مرة أنه بصورته القائمة اليوم ليس سوى محض شعار، وقد تشعر بالارتباك وبتأنيب الضمير لكونك في داخلك تدرك ذلك، لأنك وبصدق تؤمن بأن المقاومة هي حق وواجب وتريد لها أن تمضي بشعبك في الدرب الذي يأخذه إلى تحرير أراضيه وإلى نيل حقوقه الوطنية بالكامل، وأنا لا أحاول هنا أن أقيّم المقاومة، ولكنني فلسطينية أعيش في صلب الحقيقة، محاطة ومسكونة بألام شعبي، ويبدو لي أنه بعد أكثر من 60 عاماً من المعاناة، من التشرد والعيش في المنفى، أو في مخيمات اللاجئين أو تحت رحمة عدو غاشم، من حق شعبي وحقي أن نرفض أن نساق كما النعاج بطنين الشعارات وأن نتوقف لحظة لنضع التساؤلات المستحقة من هذه المسيرة الشاقة والمضنية والتي وصلت بنا إلى هذا الطريق المسدود.

وبعيداً عن الجولان، بعيداً عن الحدود الإسرائيلية السورية الغارقة في ذاك الصفاء الصارخ وذاك الغياب الحاضر لأي رصاصة، لأي ألة حربية، لأي علامة من علامات المقاومة، بعيداً عن تلك الحدود التي ولمدة أربعين عاماً، وقفت كما هي غير ممانعة بل مذعنة للإرادة الاسرائيلية وشاهدة على التواطؤ الصامت بين من يملكون في أيديهم السلطة على مصائرنا في كلا الجهتين من الحدود، بعيداً عن هناك تأخذني التساؤلات جنوباً إلى تلك البلاد المحاصرة منذ سنين والمشحونة بالوجع والمآسي من ذل ومن جوع ومن عطش ومن أوبئة ومن اختناق وقهر، إلى تلك المنطقة المعزولة عن النور والدنيا، إلى تلك الأزقة الضيقة المكتظة بالأرامل والثكالى، بالرجال العاطلين عن العمل وبالأطفال العاطلين عن اللعب، إلى حيث الأجساد المبتورة والعيشة المبتورة، إلى حيث الحياة محض صدفة، إلى غزة، غزة التي حملت على ظهرها المكسور كل وزر المقاومة.

وغزة التي احتكرتها حماس واختزلت فيها كل القضية الفلسطينية، حتى نسينا آلاف المشردين ومخيمات اللاجئين، والقدس والضفة والجدار العازل الذي خنقها ومزق جسدها وفصل بعضها عن بعضها، والمستوطنات التي اجتاحتها،والداخل وأراضي الداخل المستباحة وألف قضية.

وغزة التي وكأن الجميع شرقاً وغرباً تواطؤوا عليها وحولوها إلى أرض معاركهم كل يستعرض فيها قواه، إلى مسرح دمى يتلاعبون بها كما شاؤوا من خيوط امتدت من قصورهم المرفهة إلى بؤسها وبيوتها المهترئة، ففي أواخر سنة 2008 كان خالد مشعل القائد السياسي لحركة حماس قد أقام لابنته حفل زفاف فاخر في سوريا، كلفه ألاف الدولارات، حذر فيه اسرائيل من أن " آلة الانجاب الفلسطينية شغالة 24 ساعة" وكأن غزة ليست من روح ودم وكأن الأم الغزاوية ما احتضنت في رحمها حياة، وكأنها عندما تضع وليدها لا تضع فيه قلبها وروحها، وكأن حياة كل من يولد في غزة لا قيمة لها.

أسابيع بعد هذا التصريح قامت اسرائيل بهجوم شرس على غزة مندفعة كذئب مسعور، وغزة ألقيت في براثنه وحيدة مع بضع صواريخ تافهة كانت قد أرسلتها لها القوى الممانعة لتهيأها لتلك الحرب، صواريخ لم تحدث سوى أضراراً خفيفة في الممتلكات الاسرائيلية وربما أثارت الذعر لدى قطط وكلاب الشوارع.

من دمشق جاء القرار أن تقف غزة وحيدة في مواجهة جائرة وغير متكافئة مع أحد أوحش جيوش العالم، وكما تخفت القوى الممانعة وراء شعاراتها وكما التزمت الصمت تجاه الجولان، كذلك فعلت تجاه غزة، تجاه دمائها، تجاه نواح نسائها وصرخات أطفالها، وحتى في الشمال، السيد الذي نصب نفسه قائداً للمقاومة وحارساً للممانعة، لم يطلق كتيوشا ولم يلق حتى حجراً، ليخفف وطأة المعركة في غزة، لم يحاول أحد حماية غزة، وما زالت الشعارات هي الشعارات وما زالت غزة وحيدة وما زال الجولان منسيّاً وما زالت التساؤلات حاضرة : عن أي ممانعة وعن أي مقاومة تتحدثون؟.

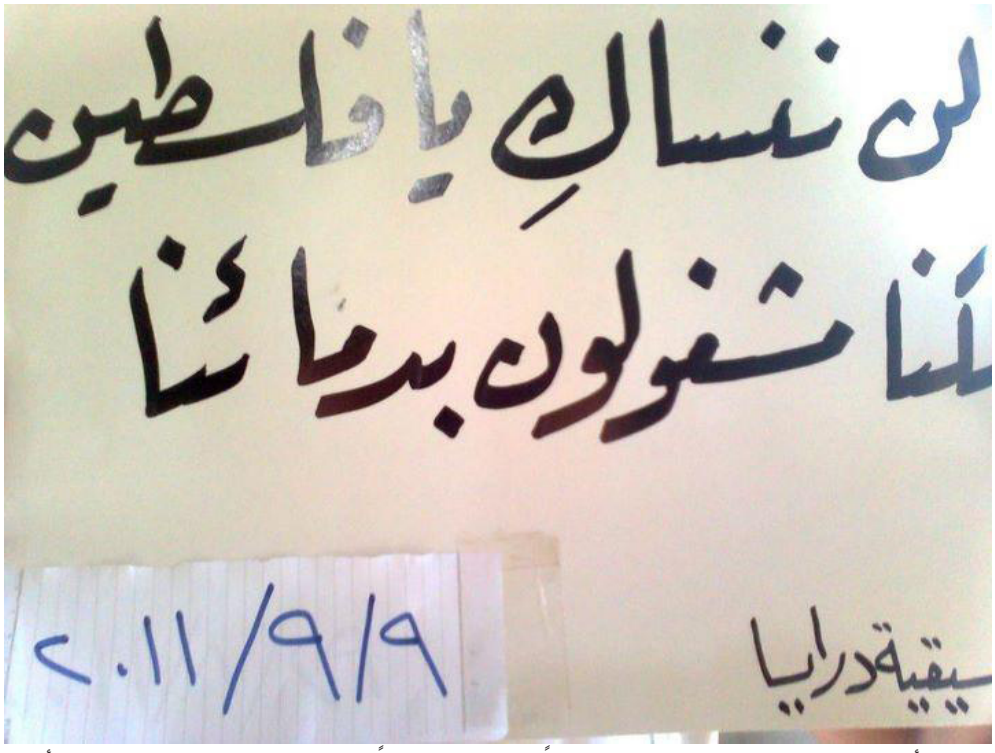

من حمص.. بين الحواجز والرصاص

■ غسان فارس

خاص سوريتنا

بعد أربع ساعات من الهروب المتواصل خوفاً من الحواجز التي تقطع البلاد.. دخلنا حمص. كانت كتلة هائلة من السواد.. وكان الحمل الثقيل الذي أتيت به من دمشق يقبع على صدري كصخرة صماء. لم يكن رأسي قداً هدأ من طرق إزميل الخوف الذي ثقب جمجمتي وأسلمني إلى هذيان طويل تختلط فيه الصور والأخيلة. كل شيء الآن يتخذ معنىً جيداً.. أن تحمل بعضاً من المساعدات الطبية يعني أن تنقل متفجرات من الممكن أن تهز النظام. دخلنا حمص من ناحية حي الزيتون. وكان الموت يعبق في الأمكنة وأثر الرصاص يرسم أخيلة ويمحيها. لكن الخوف سقط هناك. كان الصمود الأسطوري لأهل هذه الأحياء يبعث فيّ العزيمة. أنا الآن أشتم ذات الهواء الذي يشتمه هؤلاء الأبطال. أدخل المدينة فاتحاً وأتعمد بتربتها الطاهرة. عبرنا طرقات فرعية عديدة ومن ثم ركنا السيارة في إحدى زواريب حي الزيتون. في الصندوق الخلفي للسيارة تستريح أكياس الدم للمصابين والجرحى. كل شيء يباع الآن ويشترى. تستطع أن تتاجر بالرصاص وبالمعدات الطبية والطعام والشراب.. في كل الظروف والأزمنة ثمة من يبيع ويشتري من كلا الطرفين دون أي رادع أخلاقي. جدي كان يقول لي البيع والشراء هي السنة الوحيدة الثابتة التي لا تتغير في هذه الحياة، لكن ثمة العديد من أولاد الحلال كما يقولون والكثير من مؤيدي الثورة. عندما كنت ألتقي بعضهم في دمشق كانوا يتحدثون بارتباك واضح وقد مسهم الخجل، وبكلمات تكاد تكون هامسة يقولون لي ربما لا نستطيع الخروج في المظاهرات لكننا نستطيع أن نفعل الكثير من الأشياء الأخرى دعماً للثورة، أقلها هذه.. ويمدون أيديهم الراعشة ويدفعون برزم نقود نحوي ويشيحون ببصرهم إلى البعيد وقد استشعروا جُبناً ما في حنايا أنفسهم. وكنت أبتسم بيني وبين نفسي وأود أن أقول لهم أنهم ليسوا جبناء لكنني أكتفي ببضع كلمات مشجعة وأنصرف.

كان الفجر على أهبة أن يأخذ مكانه في السماء. اتجهنا إلى جامع الخالدية. للصلاة طعم آخر في حمص. تستشعر أن السماء قريبة ووأطئة وأن الدم المراق ليس أكثر من قربان يدفع بسخاء من أجل الحرية. لم أكن بعد قد نظرت في عيون أهلها. كنت مستسلماً لذلك الشعور الغريب بحرارة أجسادهم. كان ثمة حرارة دافئة تنبعث من كل الشباب الذين التقيتهم خلسةً وهم يحاولوا أن ينقلونا بين الأحياء. الحواجز في كل مكان. ولو أن الأمر بيدهم لأقاموا حاجزاً ليمنعوا الهواء والضوء عنا. لم ألمح ابتسامة أبو خالد وهو يقول تلك الجملة بسخرية.

كنا نهرول وهواء حمص يغسل رئتي. وصلنا إلى جامع الخالدية. وارتعشت أطرافي عند سماع تكبيرات العيد. حينها كان الصبح قد طلع واستطعت أن أبصر الوجوه. كان ثمة حزن في العيون المترقبة وعزيمة نافذة. وكان الجميع ينظر نحوي أنا الغريب الذي أستبيح ملكوت صمودهم وموتهم. لكن سرعان ما يسرحون في بصرهم بعيداً عني وقد طمأنتهم الوجوه المألوفة التي برفقتي. خرجنا من الجامع على هدير الهتاف. لم تكن قوات الأمن والجيش بعيدة عنا. لكن أهالي الحي تحدوا وجودهم المسعور وراحوا يرددون كل هتافات إسقاط النظام. كنت قد خرجت بمظاهرات عديدة منذ اندلاع الثورة لكن هذه لم تكن مثلها. اندفعت بكل طاقتي وصرخت مثلما لم أصرخ مرةً.. لكن أبو تميم أحد شباب التنسيقيات أمسكني من ذراعي وهمس لي: أمامنا الكثير لنفعله. وانسحبنا من المظاهرة لنستطيع نقل الدم للمشافي الميدانية المنتشرة في مختلف أنحاء المدينة.

لم أشهد حرباً يوماً ما في حياتي. لكن ما رأيته لا تخلفه إلا الحرب. حرب الحقد والكراهية.. حرب الدمار التي يخوضها النظام على أفراد شعبه الأعزل. بيوت سويت بالأرض على رؤوس ساكنيها. ورصاص رسم لوحاته السريالية على جدران الأبنية. سيارات محروقة ومحال منهوبة. استغرقنا أكثر من ساعة للوصول إلى الأحياء المنكوبة. سلكنا الكثير من الطرق الفرعية. واستخدمنا عدداً من البيوت كنقاط عبور. وفي كل منزل دخلته ثمة شهيد أو معتقل أو جريح. وكثير من القصص عن الحصار وعن المظاهرات. كان الجميع يعاني من صعوبة الحصار. أم أحمد أمسكت بيدي وشدت عليها وقالت: أطفالي الثلاثة هم من يكسرون ظهري.. أنا وأبو أحمد نقدم حياتنا ثمناً للحرية لكن لا أريد أن يموت أطفالي أمامي جوعاً وعطشاً.

نقص شديد في الخبز. بعض الأحياء لا يتوفر فيها أبداً. وشح في المواد الغذائية. المدينة تنكفئ على نفسها وتتآكل رويداً ورويداً. وأثناء مكوثنا في أحد البيوت بعد أن صادف انتشار قوات الجيش في الحي بشكل مفاجئ، وعلى صوت الرصاص الكثيف همس لي أبو ياسين حيث كانت كلماته تحز روحي: إن أكثر ما يحزنني هو صمت بعض المدن. السويداء ودمشق وحلب. لم أستطع أن أشرح له بعضاً من الأفكار النظرية التي هي في رأيي سبب لصمت تلك المدن لكنني صمتُ أمام الحزن القاسي في عينيه. وأضاف بعد هنيهات..حمص ودرعا تحملان الثورة لوحدهما.

استطعنا الوصول إلى عدة مشافي ميدانية في مختلف الأحياء. كان الجرحى بالمئات. وكان ثمة نقص شديد في أكياس الدم. أعرف أن الكمية التي حملتها من دمشق لا تكفي. لقد هالني ما رأيت من الأجساد الممزقة والمبتورة. وكل يوم يزداد عدد الشهداء والجرحى. وفي كل مرة كنت أنتقل فيها من مكان إلى آخر كانت ترن في أذني كلمات أبو ياسين..

عندما انتصف النهار كانت أصوات الانفجارات تدوي في أنحاء المدينة. والرصاص مثل مطر يجلد الأحياء والأموات. كنا حينها في منزل أحد الناشطين. وكان ثمة حديث عن الجيش الحر وعملياته. ثمة من يقول أن الناس قد تسلحت وشكلت العديد من الكتائب وثمة من يقول أن هناك انشقاقات كبيرة تحدث في الجيش وأن العديد من المنشقين ينظمون كتائب لمقاومة قوات الأمن التي تدك المدينة. اقترب مني أحد الأولاد حينها وقال لي هل تعرف ما هو صوت هذا السلاح. لم أستطع أن أخفي دهشتي وقلت وأنا أحاول أن أرسم ابتسامة مقتضبة لا.. لا أعرف. وابتسم الولد بمكر وقال لي أنا أعرف.. هذه رشاشات البي كي سي.. تترافق مع إطلاق رصاص من كلاشنكوف. كنت أود أن أبكي لكنني ضحكت حينها. وراح الطفل يحكي لي عن طريقة تميزه لأنواع الأسلحة عبر ليال طويلة من الصمت والتأمل في صوتها. وكانت أختنق في صمتي وأود لو أمزق هذا العالم الرخيص.

لم نستطع الخروج من بابا عمر حتى الساعة السابعة مساءً. لقد كانت كلتة ملتهبة من النيران. أخرجنا منها حفاظاً على أرواحنا. كانت حصيلة الشهداء حينها عشرون شهيداً. مرة أخرى استحالت المدينة إلى كتلة من السواد. وكنا نعبر في طرقاتها على هدي البصيرة. متتبعين رائحة الأمكنة. وفي حي الزيتون كانت الأفواه صامتة والوجوه مليئة بالكلمات. سقطت حينها دموعي بغزارة. اتكأت على طرف السيارة وأخفيت وجهي.. وطافت في ذاكرتي كل وجوه القتلى والجثث المكومة فوق بعضها. كان الصمت يجرح المكان. وبين الفينة والأخرى تشتعل السماء بقذيفة حيث ترتسم أخيلتنا على التراب وتتلاشى. لم يقترب مني أحد.. ولم يقل أحد من الشباب شيء. واستسلمت للبكاء المرير. ونشجت بأعلى صوتي. وودت لو أنني أستطيع الصراخ. بعد لحظات اقترب مني أبو عمر وطبطب على كتفي.. وهمس لي قائلاً.. إنا لله عمي.. وتعانقنا جميعاً.. ربما لن ألمحهم مرة أخرى.. من يدري لعل أبو عمر أو أبو ياسين أو كل من رافقني في هذا اليوم الدامي سيكون شهيداً في اليوم التالي. أشتم رائحتهم وأخزن في ذاكرتي ملامح وجوههم. وفي جنح الظلام أترك حمص كتلة من السواد يتلألأ ليلها بقذائف المدفعية.

أقترب من دمشق.. كما تركتها بالأمس.. غارقة في صمتها. لم تجف دموعي بعد وفي صدري حرقة. الحياة تسير على مهلها وادعة وهادئة. كيف سأستطع نسيان ما رأيت. كيف يستطيع كل أولئك الناس أن ينشغلوا بتوافه الحياة وثمة من يموت الآن. أقصُّ ما حدث لمجموعة من الأصدقاء وهم يتحلقون حولي كأنني عائد من قبر. أروي ما حدث بانكسار ودموعي تحاول أن ترفو ذلك الشرخ الذي حدث في الروح. تتلألأ عيونهم بالدموع مثلي. أقول لهم لست أنا الذي أتحدث الآن معكم. سعيد الذي عرفتموه بقي هناك في حمص ومن يكلمكم ليس أكثر من ظل أو شبح..

لماذا يثور السوريون؟!

سنرجع يوماً

■ ليلى السمان

خاص سوريتنا

لم يكن لمراهقة في الثانية عشر من العمر أن تعرف عن السياسة أو حقوقها كمواطنة أكثر مما تتلقنه في المدارس، من وحدة حرية اشتراكية وعهدنا وقائدنا للأبد وما إلى ذلك... فحتى الأحاديث في المنزل لم تكن لتدور أمامي خوفاً من أن أنقلها ببراءة الطفولة لأصدقائي فأعرض نفسي وأسرتي للخطر...

نزلت للمرة الأولى من الطائرة، والشغف يملأني في أول رحلة لي في حياتي... لم أكن مهتمة بأسباب الرحلة، المهم أنني مع عائلتي في أوروبا... وصلنا المطار وكان بانتظارنا رجل في سن والدي وزوجته... استغربت شكل الرجل، فأنا لم أره في حياتي حتى أني لم أكن قد رأيت صورة له ولم أسمع اسمه من قبل، ومع ذلك رأيته يعانق والدي وكأنهما شقيقان، وكانت دموع زوجته على وجهها طوال الوقت... تعرفنا نحن ووالدتي على الزوجين وركبنا السيارة... ضحكات وذكريات عن الشباب... عن مغامرات الجامعة... عن رحلات بين الجبال والقرى...

وصلنا منزلهما... كان منزلاً لطيفاً فيه طابع أوروبي قديم... لكن رائحة سوريا كانت تفوح من كل زاوية منه... صور بالأبيض والأسود ملأت الجدران... ووالدي يتوسط الزوجين اللذان ما انفكا يعانقانه كل قليل... كان فرح اللقاء تشوبه آلام عقود طويلة من الغياب... لم أفهم كل هذا الحنين... لم أدرك لِمَ لم يأتِ هذا الرجل لبلاده ليزورها يوماً ويطمئن على أهله؟...

في الليل جلست إلى جوار والدتي وسألتها... لم أستطع منع نفسي أكثر... لماذا؟؟... "إنهم لاجؤون".... لم أفهم... كيف يكونون لاجئين؟؟... ممن لجؤوا؟ ولمن؟.. "لا يستطيعون العودة لسوريا منذ أكثر من عشرين عاماً"... أدركت أمي دهشتي التي لم أستطع إخفائها فأخذتني إلى الرجل ذاته... "ابنتي تريد أن تسمع حكايتك"... قبلني من جبيني، وأجلسني إلى جواره وكأنني ابنته... وتحلق الجميع حوله... وبدأ يسرد لي الحكاية... كيف كان ناشطاً في الأحزاب اليسارية في دمشق قبل البعث، وكيف كانت معاناته أيام الوحدة حيث كان شاباً يافعاً، وكيف اضطر للتخفي مع استلام البعث لسدة الحكم، إلى أن تم اعتقاله، ليتم دراسته الجامعية وهو في المعتقل... أزاح قميصه عن ظهره، وبدأ يريني آثار حروق وندوب عليه... ثم نظر إلى زوجته وطلب منها أن تفعل المثل... وكانت الآثار ذاتها على جسدها...

"من فعل بكما هذا؟"... "المخابرات والأمن يا عمو"... اقتربت منه أكثر وقلت له هامسة "حافظ الأسد؟؟"... فضحك الجميع... "لماذا تقولين اسمه بصوت منخفض؟"... لم أعرف حقاً لماذا... فابتسمت والخجل يلف وجهي حينها... كما يلفه كلما تذكرت الحادثة حتى اليوم...

"عندما استطعت الخروج من السجن هربت مع زوجتي وطفلي حديث الولادة من سوريا ولم نكن نملك أي شيء سوى شهاداتنا الجامعية، وبعد هروبنا صدرت بأسمائنا أحكام غيابية، وصار من الممنوع على أي فرد من أسرتي حتى الذين لم يولدوا بعد أن يدخلوا سوريا... لقد حرمونا من وطننا... قد أموت قبل أن أزور قريتي... قد أموت قبل أن أرى دمشق مرة أخرى"... سكتت حروفه فجأة.. وبدأ يبكي... فضمته زوجته... ونظرت إلي مبتسمة وواثقة وهي تهدئه... "سنرجع... البركة بالشباب"...

عدت حينها إلى بلادي وأنا أنضج... وقد سمعت حكايات ما كان لي أن أعرفها أو أسمعها وأنا أردد شعارات المدرسة اليومية... تعلمت يوماً أن أسأل عن كل معلومة في كتب التاريخ والقومية... وأن أصمت حين يتباهون بالأبد... لأنه وحده الوطن من يبقى...

سافرت منذ عامين مرة أخرى إلى البلد ذاته، ورأيتهما... عجوزان وحيدان... وقد أنهكهما المرض... لكن أملهما لم يتغير... وإيمانهما بالعودة يوماً بقي راسخاً... حتى حين أصيب العم بنوبة قلبية وأنا هناك كانت أولى كلماته لنا "معقول خايفين موت؟؟.. قللكم أنا مارح موت غير بالشام"... وربما اقترب موعدك عمي مع دمشق.. لكن ليس لتموت فيها... بل لتحيى..

دندنات إندساسية

من حملة Call Homs التي أطلقها بعض الناشطون على الانترنت من أجل معايدة أهالي حمص...

أول محاولة كانت خاطئة
ثاني محاولة ما يشبك الخط
ثالث محاولة يدق بدون إجابة
للمحاولة الرابعة

اتصال رقم 1
السلام عليكم
وعليكم السلام أهلين
كل عام وأنت بخير أخي
وأنتو بخير، مين معاي بلا صغرة
أنا واحد من ضمن ملايين حبوا يعايدوا حمص، ويقولوا، اللّه يحميكم وينصركم .
اللّه يكرمكم، لا تشيلوا هم اللّه معنا

اتصال رقم 2
امرأة كبيرة وحنونة جداً
الو مين عم يحكي
احنا ولادك، كل عام وانتي بخير، اللّه يحميكم
قالت وأنت بخير اللّه يحميك وشكراً...
شكراً كتير

اتصال رقم 3
رجل يضحك بحسرة، كأنه للتو انتهى من سماع نكتة
ألو مرحبا مين عم يحكي؟
كل عام وانت بخير
وانت بخير، مين حضرتك
انا دقيت بس مشان اعايد عليكم
تسلم اخي
توصونا شي
سلامتكم كتّرولنا الدعا بس
اللّه يحميكم وينصركم
أمين

اتصال رقم 4
امرأة كبيرة، اول ماسمعت مرحبا، قالت اهلين يا ابني مين بتريد
قلت اريد عايد عليك بس، كل عام وانتي بخير يا أمي
وانت بخير يا ابني، اللّه يسلمك ويهنيك
اللّه يحميكم ويحفظكم
توصونا شي
سلامتكم اللّه يحفظك يا ابني

اتصال رقم5
كأنه ينتظر اتصال، أيّ كان هذا الاتصال
مرحبا اخي
اهلين، كيفك، الحمدللّه
كل عام وانت بخير
كل عام وانت سالم، مين عم يحكي ماتعرفني ولا بعرفك، بس دقينا على كل حمص مشان نعايدكم
قال اوكي بس منين جبت رقمي
قلت وللّه دقيت بشكل عشوائي
دقيت مفتاح سوريا وحمص واخر اربع ارقام بشكل عشوائي
قال اوكي بس مين انت من وين
قلت انا اسمي مانع، انا من القامشلي، واحاكيك من برا سوريا
قال عراسي القامشلي وأهل القامشلي، وان شاء اللّه كل سنة وانتو سالمين، مابتقصروا يعطيك العافية

اتصال رقم 6
الأمل يستقبلني
كأنه صوت مضيفة طيران ، ترحب بشخص أغترب عن بلاده مئات السني : أهلين
مساءُ الخير اختي
اهلين مسا النور، كل عام وانتي بخير
وانت بخير، مين عم يحكي
انا مانع
مين مانع ؟
مو مهم مين مانع، المهم أعايد على حمص حي حي، واقول اللّه ينصركم
قالت بصوت يحمل البسمة : نعم ؟
ان شاء اللّه ينصركم ويحميكم
قالت شكرا اخي
طوط طوط

اتصال رقم 7
وأجمل إتصال، الغد يحدثني، طفلُ جميل كـ صوته
مرحبا حبيبي
أهلين عموو، وتشويش في الخطوط
كيفك حبيبي ؟
الحمدللّه
كل عام وانت بخير
وانت بخير، اختفى الصوت ،فعاد ناضجا
الو مرحبا
مرحبا اخي
اهلين
كيفك
الحمدللّه مناح
كل عام وانتو بخير، اخي اسف على الازعاج، بس طمعانين نعايد كل اهل حمص، ورقمك طلع معي بشكل عشوائي، اللّه ينصركم ويحميكم

اتصال رقم 8
سعادتي تتكرر بشكل متوالي، طفولة حمص تقبل صوتي ،
الوو مرحبا
اهلين
أجزم أنها لم تتجاوز ربيعها الخامس
كيفك ياحلوة
منيحة مين؟
كل عام وانتي بخير
وانت بخير عمو
بدك شي
لا

أكثر من مئة محاولة أغلبها لا أحد يجيب بالرغم من أنني اتصلت بوقت مناسب بدءاً من الساعة الثانية والنصف بتوقيت حمص حتى السابعة ومن أصل مئة، لم أحرز إلا أربعة عشر معايدة.

ما الذي اكتشفته؟
كنت مرتبكاً أكثر من الذين أتحدث معهم، كنت أريد أن أمنحهم ثقة معنوية، وجدتهم يزرعونني بساتين ثقة.
لم أصدق أنني أتحدث مع حمص، خُيّل لي بأنني أتصل بفيينا، المعنويات عالية، والقلوب واثقة من النصر .
عايدت الكثيرين، لم أعرف أسمائهم، طوائفهم، قومياتهم، حتى لم أعرف توجههم، هل هم مع الثورة أو ضدها، لكنني عايدتهم، لكي أشعر إني إنسان...

كانت تلك حمص، تمنيت أن أستلقي على أبواب كل من حدثته وعايدته، عله يمنحني قبلة الحرية.

أضحيـــة العيـــد الأخيـــرة . .

■ ليلى السمان

خاص سوريتنا

لم أكن أعرف ما عليّ فعله في لحظاتي الأخيرة في دمشق... هل من مبرر لخوفي... هل أخاف الموت أصلاً؟... أغلب الظن أن الموت قد تجاوز حد مخاوفي بكثير... فكل شيء تغير في الأشهر الأخيرة... مفاهيم سقطت، وأخرى رأت النور... لا وقت لكل هذه الأفكار... السيارة تنتظرني... لحظة أخيرة...

رسالة!!... ربما هي آخر كلمات الحب التي سأقولها... أيحق لي أن أرتدي ثوب الألم والموت في هذه اللحظات وكأني أصرخ بوداعي الأخير؟!... ولكن ماذا لو لم تسنح لي الفرصة مرة أخرى لأخبرها كم أحببتها... تذكرت في هذه الثواني الأخيرة أعز صديقاتي... ربما كان الأولى أن أخبر هذه الصديقة التي أحبتني كأخ وصديق حقيقي أكثر من أي أحدٍ أني أحبها وأني كنت سعيداً دوماً لوجودها في حياتي...

كان الظلام يملأ الطرقات... أضواء المدينة مطفأة... المدينة كلها مطفأة... فالنور قد اختبأ في أقبية الملاجئ خوفاً من جلادي الظلام، وحراس الخوف الرابضين على الطرقات... خمس ساعات مرت على بطئ... استعدت فيها كل الذاكرة، التي انقسمت على نفسها... ذاكرة ما قبل الثورة... وما بعدها... وفاصل طويل يحمل في طياته حكايات عشتها، وأخرى سمعتها... وأخرى أنكر مرورها في حياتي كي لا أعتاد الموت... صوتها في رأسي طوال الوقت... هل ستحزن عليّ... هل ستنشر صفحة باسمي على "الفيس بووك" أو ربما تكتب بضعة كلمات عني... لا أريد شيئاً من هذا... لا أريد دموعها، ولا استجداء ذاكرتنا... كل ما كنت أريده هو حبها...

حمص ترحب بكم... لا لافتة لتخبرني أني دخلت المدينة... بل هي السماء من صرخت في الكون وكأنها انفجرت من رحم سحب ليلة العيد لتقول... حمص هنا... حمص الجريحة... رائحة الشهداء... وتلك الطرقات التي ما زالت تصارع القصف والرصاص... أمسكت حقيبتي وشددتها إلى صدري... لم يعد يهمني أي شيء من كل التداعيات التي مررت بها قبل اللحظة... لا شيء أهم من أن تصل المعدات الطبية التي أحملها لأصحابها علّها تنقذ روحاً بريئة صباح عيد الأضحى... صمتٌ مريب... نظرت إلى ساعتي.. كانت قد قاربت السادسة صباحاً، إلا أن الشمس قد تأخرت... وكأنها كانت تعلم أن نورها لم يعد يكفي هذه المدينة ليحميها من القتلة...

مررنا بعددٍ من الطرق الفرعية لنتجنب العبور عن طريق الحواجز التي افتعلتها قوات الأمن والجيش فقد كان من المستحيل أن نمر عبرها بالمواد التي نحملها في جعبتنا... لأول مرة تكون المواد الطبية والأطعمة وحتى الخبز تهمة قد تنهيك برصاصة حاقدة... لا بناء بقي على حاله هنا... آثار الرصاص تتماهى على الحجارة وأحياناً آثار القذائف... تخبرك ما لن يستطيع أحد أن يقوله لك... "الموت مرّ من هنا"... ركنا السيارة بعيداً وسرنا باتجاه جامع "خالد بن الوليد" أو كما يحب تسميته أهل المدينة بجامع "سيدي خالد" لنصلي صلاة العيد، سرنا بين المنازل لنصل هناك، وفي كل منزل حكاية... وعند كل باب ابتسامة ترحب بنا وكأننا أحضرنا بأيدينا فرح عيدٍ لن يطالوه... لم نستطع دخول حرم الجامع... فآثرنا الصلاة في الخارج... لا عيد هنا... "وحده صدق وعده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله"... صلاة تكفي لترد على ما كتبوه على كل المحال المغلقة "لا إله إلا بشار"... لم أكن مؤمناً بيوم من الأيام... ولن أدعِ هذا الآن... وربما لم أرتد مسجداً منذ طفولتي... إلا أنني لن أنكر أيضاً وقع صلاةٍ أتت من قلوب مقهورين... ربما... بالتأكيد... كان الله معنا... انتهت الصلاة... فاشتبكت الأيادي وتحلقت على الأكتاف...

"سكابا يا دموع العين سكابا على شهدا سوريا وشبابا"... ما أصدق هذه الكلمات... وشبابُ حمص يرثون بعضهم البعض... يبكون شبابهم... يبكون موتهم السابق والمؤجل...

بقينا حتى حوالي التاسعة صباحاً لنعود إلى "كرم الزيتون" لنوزع المواد التي حملنا معنا... بضعة أكياس دم فارغة، وإبر كزاز ومواد طبية أخرى، ما لبثنا أن نعلن وجودها معنا حتى نفقت بسرعة تخبرنا عن كمية الحاجة لها وعدد الجرحى والمصابين في المدينة... كما كنا قد جمعنا قدراً من التبرعات المالية أحضرناها معنا من دمشق ليتم توزيعها على ما يقارب المئة عائلة، إلا أن أحداً لم يقبل أخذ التبرعات بل آثروا جمعها معاً لشراء الطحين الذي كان مفقوداً في المدينة منذ أيام... والمضحك المبكي هنا أن الأمن هو المسؤول عن بيع مثل هذه المواد وغيرها بما يتضمن ذلك خطوط الهواتف الجوالة بأسماء الشهداء السابقين... تخيلت في تلك اللحظة كمية الطحين التي سنشتريها بهذا المبلغ... ابتسمت... قد نطعم المدينة بأسرها... لأفاجئ بأن ثمن الكيس وصل إلى العشرة آلاف ليرة تقريباً... وأننا لم نستطع شراء أكثر من بضعة أكياس...

بدأت الشمس بالغياب متقاطعةً مع بدايات القصف... لم يسمح لنا أصحاب المنزل بالخروج، فقد اعتبروا أن عليهم حمايتنا بالدرجة الأولى، فلم ينسهم الخوف والموت أصول الضيافة ولا طيبتهم ومحبتهم (حتى أنهم كانوا يعتذرون منا طوال الوقت أنهم لا يملكون شيئاً لضيافتنا من طعام أو شراب فأعدوا لنا الشاي)... إنها الحرب... لا يمكن لي أن أسمي ما حصل بأقل من ذلك... أصوات الرصاص والقذائف... وانقطاع الكهرباء بشكل متناوب بين منطقةٍ وأخرى... هو يومي الأول هنا... لكنهم اعتادوا الأمر... فوقف أحد الرجال على سطح المنزل ليراقب الأوضاع العامة غير مبالٍ بأن تصيبه رصاصة طائشة أو شظية... اقترب الصوت أكثر... وكأنه في الحي ذاته... إلا أنهم كانوا يتعاملون مع خوفهم بطريقةٍ مختلفة... لا وقت للخوف هنا... لا وقت للموت... بل للحياة... في تلك اللحظة اقترب مني طفلان وكأنهما فهما دهشتي، وبدآ يشرحان لي مع كل صوت نوع السلاح المستخدم ويحددان لي جهة الإطلاق... أي طفولةٍ بقيت وقد حالوا رجالاً يكبرون على الغياب... بدأت الأخبار تتداعى... "حرقوا سوق الخضار في بابا عمرو... لم يتبق منه أي شيء"... "كتائب الجيش الحر انسحبت من بابا عمرو حفاظاً على أرواحهم"... "الحواجز تملأ المدينة.. أكثر من ثمانين حاجز في المنطقة نفسها"... "سرق الأمن المشافي الميدانية الخمس، واعتقلوا كل الشباب الناشطين في تنسيقية الأطباء"... تذكرت صديقي حينها... هل اعتقلوه أيضاً؟... لم يخبرني أنه آتٍ لحمص الليلة إلا أني أعرفه جيداً... لن يحتمل البقاء في دمشق فيما تبكي حمص... لن يحتمل بحسه الإنساني والطبي ألا يكون مشاركاً في إغاثة المحتاجين هنا... هو هنا... لكنني لا أعرف مصيره... (وبالفعل عند عودتي تأكدت أنه استطاع إيصال معدات طبية أكثر حرجاً وعاد بسلامة)...

القصف يزداد... لا طريق للعودة... وكان الخطر علينا كوننا لسنا من أبناء المدينة "بحسب هوياتنا الشخصية" أشد ضراوة من أبناء المدينة ذاتها، كون أن الأمن والجيش يعتبر تواجد أبناء المدن الأخرى مشبوهاً بالتأكيد... لم نتحرك حتى وصول شابين إلى المنزل كانا قد أمنّا لنا طريقة العودة إلى دمشق والخروج من أحياء حمص بأكثر درجةٍ ممكنة من الأمان، ودعنا الجميع... وربما كان أصعب وداع لي... فهؤلاء الذين لم أكن لأعرفهم في حياتي... وربما لن أراهم بعد اليوم... والذين وقفوا معنا وكأننا أبناؤهم... كيف لي أن أعرف بعد هذه اللحظة أنهم بخير... كيف لي أن أعلم أني أودعهم أحياءً اليوم فلا يزفوا شهيداً من الباب ذاته في اليوم التالي... كيف لي أن أعلم بأن الطفلين الذين كانا معي سيكبران... فلا يكسر الأمن أصابعهم الصغيرة، ولا يخاف من ضحكاتهم التي تفضح أسلحتهم؟؟

طريق العودة... لم أعد خائفاً... فقد قمتُ بالواجب الذي أتيت من أجله... وسلمت الأدوية والمعدات والمعونات... طريق العودة... وأنا خائف جداً... فلم أقم بشيء... حمص تموت خلفي... وأنا أودعها... ولا أعلم إن كان لي لقاءٌ قريبٌ معها... والأضاحي تترامى بشراً دون أن أملك سوى دموعي لأرثيها... وحكايةً أخبرها لأصدقاءٍ ينتظرونني في دمشق ببصيص أملٍ من حمص الحزينة... حمص الوحيدة...

شهادة من صديق

يا أرضنا.. شهداؤنا: نوصيك بهم خيرا

الشهيد البطل ربيع بشيرغرة

32 سنة يعمل ميكانيكي سيارات يعمل لإعالة زوجته وأطفاله الأربعة أكبرهم ابنته ذات الثمانية أعوام وأصغرهم طفله الذي لم يتجاوز العامين بعد... ككل شباب برزة الأحرار يعشق سوريا الكرامة وأبى إلا أن يلبى نداء الحرية...

قبل يوم من التشييع قبل يد أمه وأخبرها بأن لديه شعور بأن الشهادة تناديه.. استيقظ في اليوم التالي والغضب يملأ قلبه على شهداء سوريا، ولم يعلم أنه هو مشروع شهيد!!!

بدأ التشييع وصوته يعلو مع الشباب مناديا بلحرية والثأر للشهيد عندها هجمت قطعان الأمن والشبيحة وأطلقت النار بشكل مباشر على المشيعين وعندما ركض المشيعين وقعت أعداد كبيرة منهم فوق بعضهم البعض وبقي تابوت الشهيد ملقى على الأرض عندها جاء الأمن وحاصر هذه المجموعة وأخذ يطلق النار لإرهابهم وقام بشتمهم وتخوينهم لحملهم علم الاستقلال ... قال ربيع للأمن الشهيد محطوط عالأرض وبس تركونا نطلع ندفنو نطلع ندفنو صرخ فيه رجل أمن وطلب منه الخضوع لأوامره والانبطاح فوق المجموعة التي على الأرض فرفض لأنه يوجد أطفال في الأسفل ..

فقام رجل الأمن بضربه بكعب بندقيته على صدره، فأخذ ربيع يصيح به «ما بدي إنبطح ليش عم تضرب».. دون أن يرف له جفن.... فتم إعدامه ميدانيا وبقلب بارد... وقيل أن قائد العملية ويدعى العقيد تيسير هو من قام بإعدامه..

الشاب ربيع غرة هوشاب سوري برزاوي حر هو ...ربيع سوريا..

ربيع غرة، سوري لم...و ..لن ينحنى إلا في صلاتهِ..... لا .. لن يرضى بالهزيمة، ونحن لن نرضى له أيضاً.. سيظل رغم قهر العدوان.... رأسه شامخا عالياً.. ككل سوري حر...

شمعات الحرية . . معتقلونا

المعتقل الحر إسماعيل الخطيب

ناشط من مدينة السلمية وكان من المشاركين في اعتصام وزارة الداخلية في 16 آذار، واعتقل في فرع فلسطين على اثر ذلك حيث حقق معه رستم غزالة شخصياً. اعتقل مرة ثانية في يوم الأحد 6-11 مع عدد من احرار مدينة السلمية إثر مظاهرة سلمية.

إسماعيل خريج أدب أنكليزي وحالياً يدرس ماجستير في الترجمة الفورية.

أنس عليان

أنس اعتقل في عملية مداهمة على أيدي المخابرات الجوية بـ تاريخ 2011/6/11 وهو شارك في الحوار مع مبعوث رئاسة الجمهورية لـ مدينة داريا تاريخ 2011\5\18 بالنيابة عن أحرار داريا لكن تم اعتقاله بعد حضور الاجتماع.

متزوج ولديه طفلة "بيلسان"

إضراب السجناء في سجن عدرا عن الطعام

7 تشرين الثاني: أكثر من 1300 معتقل في سجن عدرا أعلنوا الإضراب عن الطعام احتجاجاً على عدم تلبية الحكومة السورية لشروط مبادرة جامعة الدول العربية بالإفراج عن المعتقلين، وتنديداً بجرائم النظام وللمطالبة باطلاق سراح كل المعتقلين في السجون السورية.

يا نحن

النظرة الأخيرة

■ غسان فارس

خاص سوريتنا

دوار... دوار... يأخذني إلى سماء بعيدة... سماء تخيم على شرفة أطل منها على أسرار الطفولة المبعثرة في الأزقة. لم تكن الحياة حينها قد أذنت لخبثنا الطفولي بالنضوج. وككرة كنت أركض وراء الحياة حرا من الأمس ومن الغد اللعين... حرا مثل طائر. تختلط الصور والأخيلة. أبحث عن وجهك في البقعة الحمراء اللزجة والداكنة.. تمتزج ملامحك بالأبنية المدروزة بالرصاص والتي ترسل آخر همسات أهلها... نيران تلتمع وتشعل كل التفاصيل التي نسجت الذاكرة. دوار وصخب في أذني والعالم دوامة. شظايا تنغرز في الروح مثل إبر مورفين... ومن ثقب في الرئة ينساب الزمن رويدا رويدا.

أتحسس أطرافي. لحظات تفصلني عن الموت. أشعر بحضوره المريب. لم تعد بي رغبة بالحياة. وجوه أحببتها استحالت إلى رماد. رباه كم هو قاس الموت، ومفزع مثل تلك المدفعية التي تدك شوارع المدينة!

أعرف أن صوتي المكتوم لم يسمع، وكل صراخ الألم سيتبدد في الهواء. سأموت دون قبر، مشوه الأطراف مصفى من الدماء، محشورا في قبر جماعي. لست نادما الآن على أي شيء، ولو عاد بي الزمن إلى الوراء لفعلت ما فعلت مرة أخرى...

تنشط الذاكرة. أعرف أن ذلك جزء من الموت. سأتلو تلك التفاصيل مثل قداس.. دافئة تلك الدماء التي تنساب من رأسي، لكن جسدي بارد.

على تلك النافذة كنت أكبّر. لم تعد نافذة الآن، لقد اقتلع الجدار من مكانه. كيف بدأ ذلك؟ كان الظلام يخيم على بابا عمرو. ربما كانت الساعة الرابعة صباحا. هل هدأ الرصاص حينها؟ لا أعرف، كان الخوف يجلس بيننا مثل شيخ طاعن في السن. أمي تبتهل بالدعاء إلى الله، وأبي الذي أردته رصاصة قناص أجهزت على حلمه بالصلاة في الجامع العمري عقب سقوط النظام كان معنا بروحه الدافئة يلقي السكينة على أرواحنا المضطربة. وفوق أكوام الباطون إلى جانب خزانة الكتب المحترقة كانت تجلس هناك. وفاء ابنة جارنا عبد الغفار.

آه.. ثمة زجاجة تحز الوريد. واخزٌ ذلك الملمس وحار. يختنق حلقي بالدماء. يخفق قلبي بسرعة. أشعر بروحي تنزع من المسامات.

قدمت مع أمها أثناء القصف المتواصل على الحي. لم يعد زوجها وابنها منذ أن خرجا في الصباح. كانتا تنشدان الأمان في منزلنا. كانت تنظر إلي حين انهمرت من عينيها دمعة، لكن وجهها كان يبتسم. لقد كانت مزيجا من الفخر والحزن، ربما كانت تريد أن تقول لي أنا خائفة... نعم خائفة لكنني أشعر بالفخر... الفخر الشديد.

كانت حمص حينها تملأ كياني بهوائها ومائها وذكرياتها. اندفعت نحو النافذة. لا بدّ أن الرصاص كان حينها قد خرس. خرج كل شيء من صدري. تلك الحياة الرخيصة الدنيئة الممزوجة بالذل والهوان. سنين طويلة من الألم والخيبات والإنكسارات.

اللّه أكبر...

ملأت ذلك الفضاء بين الأرض والسماء. ومن الظلام الدامس كانت تقترب حمراء متقدة مشتعلة بالغضب والحقد. اقتربت رويدا رويدا حيث أنارت قليلا من جانب المدينة المظلمة... وكانت روحي تخفق... تخفق بشدة.

لا أستطيع رؤية أحد منهم... حتى أشلائهم اختفت. لقد أجهزت تلك القذيفة عليهم جميعا. لا رغبة لي بالبكاء. لست نادما أبدا. لقد نزفت الدماء في جسدي. وقلبي يكاد يتوقف. لو أنني أستطيع أن أثبت كل التفاصيل التي حدثت.. ذلك القلق والألم والخوف والحب. سحقا سينسى كل شيء، وسنذكر كمجرد رقم على شاشة إحدى القنوات.

هاهي المدينة تتنفس الضوء الأزرق. آه لو أستطيع أن أصل إلى تلك الحافة لأرى بيوت بابا عمرو. أعرف أحيائها وبيوتها وأزقتها... وقصص العشق فيها ومشاجرات أهلها... لو أستطيع رؤيتها للمرة الأخيرة... لو أن لي أطرافا لزحفت نحو تلك الحافة اللعينة... أتحسس جسدي المبتور الأطراف. أعرف أنني لن أستطيع ذلك... ثمّة بضع نبضات في القلب ستنفد بعد قليل.

حمـــــــص

■ هند عيسى

خاص سوريتنا

حمص المدينة هي عاصمة محافظة حمص، تبلغ مساحتها 10،000 كم، وتعتبر أكبر المحافظات السورية من حيث المساحة، كما أنها تقع في وسط البلاد رابطة المحافظات الشمالية مع المحافظات الجنوبية، هذا ما جعلها عقدة المواصلات الأبرز في سوريا. ويخترق المحافظة من الجنوب نحو الشمال وكذلك المدينة نهر العاصي الذي يشكل مجراه منطقة زراعية خصبة للغاية. تقع حمص قبالة فتحة جبلية في سلسلة جبال لبنان الشرقية، هذا ما يحمل إليها هواء البحر الرطب ودرجات حرارة أكثر اعتدالاً من سائر المناطق الداخلية في سوريا كدمشق، وهو ما يجعل أيضاً معدّل الأمطار فيها أعلى من سائر المناطق الداخلية. إلى الشرق من حمص، تلتقي المدينة مع بادية الشام، وعاصمتها تدمر. ويقسم نهر العاصي المدينة إلى قسمين رئيسين إلى الشرق على أرض مسطحة تحتوي قلب المدينة والأحياء الرئيسية فيها إلى جانب المدينة القديمة، وإلى الغرب وفيه تقع الضاحية العمرانية الأكثر حداثة وعصرية، وتمتد على مساحة 4800 هكتار (19 ميل مربع).

يبلغ عدد سكان حمص أكثر من مليون نسمة ويعود تاريخها إلى عام 2300 قبل الميلاد وكانت تسمى في عهد الرومان باسم إميسا ولها تاريخ عريق، كما تلقب بمدينة ابن الوليد. وأهلها أهل الطيبة والنخوة والظرافة، وفيها تتعدد الثقافات والأديان والطوائف، فهي تشكل فسيفساء المجتمع السوري وتنويعته المميزة.

كانت حمص ثاني مدينة بعد درعا تنضم إلى الاحتجاجات السورية مطالبة بـ "إسقاط النظام"، وقد شاركت في الاحتجاجات أعداد ضخمة من سكان المدينة قدرت بعشرات أو مئات الآلاف من مواطنيها. كما أعلن المشاركون عن اعتصام في 18 نيسان في ساحة الساعة والتي تمّ تغيير اسمها إلى "ساحة الحرية"، إلا أن قوات الأمن السوريّة فضّت الاعتصام بالقوة مرتكبة مجزرة عرفت بمجزرة الساعة راح ضحيتها العشرات، ولم يثن ذلك أهل حمص عن الاستمرار في التظاهر.

كمحاولة لاحتواء المظاهرات، أقيل محافظ حمص واستبدل بمحافظ جديد، غير أن المظاهرات لم تتوقف. وفي المرحلة الثانية، قالت الحكومة السورية أنّ "عصابات إرهابية مسلحة" روّعت المواطنين في حمص، فقام الجيش السوري مدعماً بالأمن المركزي والشبيحة باقتحام المدينة ومحاصرة

أحيائها، ما أدى إلى سقوط مزيد من القتلى - الذين كسروا حاجز الـ1000 قتيل - والجرحى والمعتقلين، غير أن المواطنين استمروا في التظاهر، ومن الأسماء التي لمعت في قيادة التظاهر في المدينة هادي الجندي الذي قتل في تموز 2011، كما أن عدداً من أبرز المعارضين السوريين هم من حمص ومنهم برهان غليون وسهير الأتاسي، هذا ما دفع البعض لتسمية حمص "عاصمة الثورة السوريّة".

من أبرز أحياء حمص الثائرة:

باب السباع

ليس لباب السباع حدود واضحة فهو في قلب حمص القديمة. شارع باب السباع الرئيسي _شارع الباص كما اعتاد أهل الحي تسميته أو السكة_ الذي يعد شريان الحياة في باب السباع يقع في وسطه جامع خوف وبوازيه تماماً الشارع الذي تقع فيه المدرسة الانجيلية ودار المسنين التابعة لها، حتى تنتهي إلى منطقة المريجة حيث جامع المريجة ذائع الصيت، وعلى اليمين العدوية وفيها جامع العدوي، ثم حي الفاخورة وأحياء أخرى من حمص، وعلى اليسار شارع الوادي الذي كان في ما مضى أخفض منطقة في باب السباع قبل شق الطريق فيه وإصلاحه وفيه جامع الزعفران، وبعدها يلتحم باب السباع بباب الدريب حيث دوار باب الدريب ومستوصفه الصحي ومدرسة المثنى.

الجميع يعرف بعضه في باب السباع، الكل جيران وأخوة في هذا الحي، ومعظم أسر باب السباع لا تخرج منه، فأبناء هذا الحي يحبّونه ويعشقون شوارعه وحاراته، وأغلب الأسر تبني على السطوح طوابق إضافية حتى يبقى أبناؤها بجانبها، ومن تيسر حاله يشتري بيتاً لابنه في حارة مجاورة، والنادر من يخرج للسكن خارج الحي. والجميل في أهل باب السباع فخرهم واعتزازهم بحارتهم التي سكنوها منذ القدم على الرغم من أن البعض من أهل حمص ينظرون لها على أنها حارة شعبية. ومن المميز في باب السباع كثرة المتعلمين والمثقفين على عكس ما قد يظن البعض من أن أهله غير مثقفين، فكل الأطباء في باب السباع هم من أبناء الحي أو انتقل معظمهم، حتى مستشفى الحي إدارته ومعظم أطباء كادره هم من أبناء الحي أو قاطنيه، وفيه مهندسون وأساتذة ومعلمات مدارس وطلاب جامعات ومحامون، وكمعظم الحارات الشعبية هناك الحرفيين وأصحاب المهن والمحلات التجارية والحلويات والخضرجية وخاصة في شارع باب السباع الرئيسي وساحة المريجة التي تشكل ما يشبه السوق المتكامل وغالباً ما يقصده بعض أهالي حمص للتبضع وشراء حاجياتهم بشكل دوري.

باب سباع حي له من اسمه نصيب وشجاعة أهله أسطورية وصمودهم لا مثيل له، ففي هذا الحي الثائر تمركزت الدبابات وقامت بقصف أبنيته ومآذنه وعاثت فيه دماراً منذ الأشهر الأولى للثورة حيث قامت دبابات "اللبي تي آر" بقصف منازل آهلة بالسكان قرب دوار الفاخورة، ما أدى إلى حرق وتدمير بعض المنازل وارتكبت في الحي مجزرة شنيعة بتاريخ 20-7-2011 راح ضحيتها العشرات من المتظاهرين.

بابا عمرو

أو باب عمرو يفترض أن يكون هو الباب الثامن لمدينة حمص وهو أيضاً حي من أحيائها حيث يقع في الجهة الغربية الجنوبية للمدينة. يحتوي على مساجد أثرية مثل مسجد الصحابي عمرو بن معد يكرب وقبر وجدت فيه الحفريات القديمة كتابات محفورة على صخر وقد بقي منها حرف العين وأغلب الظن أن هذا القبر يعود لهذا الصحابي الجليل. قرب المسجد القديم تمتد مقبرة بابا عمرو القديمة والتي توقف الدفن فيها منذ أكثر من عشر سنوات. معظم أبنية الحي هي أبنية شعبية إلا في المناطق الجديدة منه، فقد توسع المد العمراني حيث أن الدولة سمحت بتراخيص للأهالي الراغبين بالأبنية الجديدة. يشتهر الحي بسوق خضاره الكبير والرخيص، وكذلك محلات الألبسة والأحذية.

يعتبر بابا عمرو منطقة مثالية للسكن الشعبي والقريب من الجامعة والمداخل الرئيسية لحمص، وهو على طريق مهم جداً وسياحي حيث يقسمه طريق بابا عمرو الذي يمتد إلى جوبر ومنها إلى بحيرة قطينة، ويمتد الحي حتى الغرب إلى العاصي وتفصل قناة الري الفرنسية بين البساتين والفلل في بابا عمرو والسكن المدني. من نقاط العلام في بابا عمرو التل الروماني والذي لا يزال مهجوراً مثله مثل التلال الرومانية بالرغم من غناه بالآثار والحفريات التي تدل على ذلك.

بابا عمرو هذا الحي الصامد إلى اليوم في وجه الدبابات والجيش تعرض لشتى أنواع القصف الهمجي وكانت فيه أول الانشقاقات في صفوف الجيش وقد تعرضت مساجده لدمار كبير، ولا زال إلى اليوم يعاني ولكنه صامد وأهله يخرجون في مظاهرات يومية.

مبانٍ مهدمة.. واجهات أبنية مطرزة بالرصاص في أكثر من 10 شوارع.. مسجد مطرز بالقذائف ومئذنة مصابة.. هكذا تبدو بابا عمرو اليوم..

أحياء حمص التي عانت على مدى ثمانية أشهر من الاحتلال الأسدي الغاشم من باب سباع إلى بابا عمرو مروراً بباب دريب والانشاءات والخالدية والبياضة وباب هود والقصور ودير بعلبة.. بكل قراها وضواحيها وريفها مستمرة رغم التنكيل.. وهي تقف اليوم في المقدمة حاملة لواء الحرية لسوريا..

احصائيات:

عدد شهداء مدينة حمص : 1425

أول شهيد في محافظة حمص: بتاريخ 25-3-2011 نزيه ايبو

عدد المعتقلين: 886

حسب مركز توثيق الانتهاكات

سوريتنا
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

هيئة التحرير والناشرون:
■ جواد أبو المنى ■ حمزة الجندلي ■ حنين اليوسف ■ سعاد يوسف
■ غسان فارس ■ ليلى السمان ■ ماريا الحداد ■ ياسر مرزوق

صفحتنا على فيس بوك: www.facebook.com/pages/Souriatna
للمراسلات: souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com
نرحب بكل المساهمات والمشاركات، بعد مراجعتها وخضوعها لشروط النشر

في أصول انقسامات المعارضة السورية وخصوماتها

■ ياسين الحاج صالح

ليس جديداً تخاصم معارضين سوريين «علمانيين»، أو الحساسية البالغة للعلاقات في ما بينهم. الواقع أن التخاصم هو النسق المستقر للعلاقات بين تياراتهم طوال عقود الحكم الأسدي الأربعة. تختلف أسانيد الخصومة، أو التسويغات الإيديولوجية التي تقدم لها، لكن الخصومة نفسها مستمرة، ما يوحي بأن لها جذوراً اجتماعية تتجاوز الشروح المتداولة.

وعموماً كان الموقف من النظام هو محور الانقسام الجوهري، وإن استعار هذا الانقسام حججه ولغته من العتاد الإيديولوجي المزامن، الماركسي والقومي العربي أيام أزمة الثمانينات، والديموقراطي والوطني اليوم. المسألة هي: هل مشكلتنا الرئيسية هي النظام، ويتعين تغييره أولاً، أم أن مسألة النظام واحدة من مسائل متعددة، مثل الإمبريالية والصهيونية والأصولية، ولا بد من مواجهتها معاً؟

الواقع أن الموقف الأخير يحول دون بلورة أية سياسة معارضة متماسكة، ليس فقط لأنه يطرح مهام تتجاوز قدرات أي معارضين سوريين محتملين، ولكن بخاصة لأن النظام لا يبيح لأحد أن يعترض على أي شيء، لا الصهيونية ولا الإمبريالية ولا الأصولية، ولا انتشار الأوساخ في شوارع المدن، بصورة مستقلة عنه، أو أن يعمل هذا الأحد لحسابه فعلاً. يعود الأمر إلى خصوصية الوضع السوري المتمثل في ضرب من «الشمولية» يحول دون وجود قوى سياسية منظمة وفاعلة، إلى درجة أن كلمة معارضة بالذات تبدو هنا مجازية وتقريبية جداً. ولعلنا نصيب أكثر إن قلنا إنه يتعين تغيير النظام من أجل أن توجد معارضة أكثر مما لو قلنا إن هذا التوجه المعارض أو ذاك هو ما يحول دون التغيير في سورية. وهذا ما يجعل من تغيير النظام أولوية عليا لأنه شرط وجود المعارضة، حتى قبل أن يكون شرط فاعليتها. وهي بالطبع لا تستطيع أن تكافح من أجل أي شيء أو ضد أي شيء إن لم توجد. ونفترض أن نصف قرن من الحكم البعثي كاف للبرهان على ذلك، إذ لم تنشأ خلاله إلا منظمات صغيرة، كان تأثيرها على الحياة العامة محدوداً على الدوام أو أكثر محدودية. ولطالما كان ميسوراً كل اليسر على النظام سحقها إذ عرضت منزعاً استقلالياً حقيقياً، علماً أنها لم تشكل يوماً خطراً جدياً عليه.

وعموماً تنتظم استقطابات المعارضة السورية في صورة طرف يعرف نفسه بمواجهة «آخر» هو النظام، وطرف آخر أميل إلى تعريف نفسه بمواجهة هذا المعارض الآخر، ويدخر له أعنف غضبه وأقوى انفعالاته. هذا معارض أيضاً، لكنه حساس لخصومته مع المعارض الآخر أكثر. وفي هذا الشأن النبرات والإيماءات و «اللاكِنّات» وتلاوين الكلام تقول أكثر بكثير مما تقوله العبارات المجردة والمواقف الظاهرة. سيبدو معارضون لمعارضين أقل شيوعية أو ديموقراطية أو قومية أو وطنية مما هو صحيح وواجب.

غير أن هذه أحكام إيديولوجية لا قيمة لها غير إسعاف الخصومة بزاد فكري يطيل عمرها. أما الخصومة ذاتها فهي أحد أوجه أزمة الثقة الوطنية التي اعتاش النظام سياسياً عليها منذ وقت مبكر من حكم حافظ الأسد، أعني أن يخاف السوريون من بعضهم أو يرتابوا ببعضهم، بحيث يغدو النظام مصدر التماسك الوطني الوحيد. وهذه سياسة واعية، تتوافر عليها شواهد كثيرة متواترة، وتنبثق من الأولوية العليا لنخبة النظام القائدة، البقاء في الحكم إلى الأبد.

وبمحصلة أزمة الثقة الوطنية يخاف الكرد من العرب، ويرتاب العرب بالكرد، ويخاف المسيحيون من المسلمين، وينفر المسلمون من المسيحيين، ويتبادل السنيون والعلويون الخوف والارتياب ببعضهم، ومثل ذلك بين العلمانيين والإسلاميين، ومثله أيضاً بين المعارضين الذين ينتظمون في صيغة «ممانعين» و «ليبراليين»، أو أثناء الثورة السورية في صيغة داخليين «شرفاء» وخارجيين «عملاء»، أو طالبي التدخل الخارجي ورافضيه. وعلى هذا النحو يغدو النظام هو الحل، وسيعتمد في أمنه واستقراره وإعادة إنتاجه لنفسه على أن يتفوق خوف السوريين من بعضهم، وعدم ثقتهم ببعضهم، على خوفهم منه أو عدم ثقتهم به. وهو ما يجعله حلاً لمشكلات تبدو «طبيعية» ومحفورة في أصل السوريين وفصلهم.

وفي سياق يهيمن عليه النظام، لونت السنون الطوال العلاقات بين معارضين، مقزّمين جميعهم، بألوان من النفور والضغينة والبغضاء، تستعصي على الإصلاح والمعالجة العقلانية. ولعل الشيء الذي حول ما يفترض أنه اختلافات وفوارق نسبية تقبل التوضيح والشرح إلى أزمة ثقة غير معكوسة هو اختلاط تلك الفوارق بالمخاوف والهواجس والأهواء والارتيابات التي لا تسمى بأسمائها ولا تناقش صراحة. النظام يمنع ذلك. وإيديولوجيات المعارضين لا تسعف في مباشرته. وعلى هذا النحو يكتسح جنون الارتياب الوعي العام، فلا يبقى في المجتمع «عقل» سليم.

وما جرى عبر سنوات من تبادل الريبة والضغينة أن تجمدت الخلافات النسبية في صورة تمايزات جوهرية، أي طوائف بالفعل. ولا أعني بذلك أن أزمة الثقة بين تشكيلات المعارضة التقليدية انعكاس لأزمة الثقة بين طوائف وإثنيات، أو أن الأحزاب تعبيرات عن طوائف، بل أن الأحزاب المتخاصمة تحولت إلى طوائف هي ذاتها، أعني إلى حساسيات وأذواق، وأشخاص، و «هويات». الطوائف ذاتها، بالمعنى الشائع للكلمة، نتاج سياسة تقسيمية أكثر مما هي سبب لها. يثبتها ويجعلها أشد استعصاء على التوضيح والمعالجة سكوت المثقفين والسياسيين على سياسة الانقسامات الطائفية.

وحين نتكلم على تطييف للتنظيمات الحديثة فإننا نعني أن البعد الرمزي «اللازم» في تكوينها (الذي يتأسس عليه التعارف الداخلي للأفراد والجماعات) يتفوق على البعد المفهومي والعقلاني «المتعدي» (الذي يشركهم مع غيرهم). وبالفعل لم يعد لأي من تنظيمات المعارضة التقليدية مرجعية فكرية واضحة، يمكن شرح سلوكها استناداً إليها، ولا برامج سياسية تفسر شيئاً من سياساتها. إنها طوائف جديدة. والعلاقة «الطبيعية» و «الصحيحة» بين «الطوائف» هي التخاصم وعدم الثقة، وربما الصراع المفتوح.

ولقد انطبعت تنظيمات المعارضة التقليدية بهذه البنية واستبطنتها. ليس فقط أنها لم تستطع أن تطور توائقاً وطنياً يعاكس مفعول أزمة الثقة الوطنية، ويفتح أبواب تجاوزها، وإنما هي بالذات أحد أوجه دوامها.

وبينما لا تتساوى المواقف كلها في نطاق أزمة الثقة الوطنية، فإن كل ما دون النجاح في كسر هذه البنية إنما يندرج في منطق إعادة إنتاجها. الفاشل مخطئ وإن أصاب.

كسر البنية هو الثورة.

أزمة الثقة الوطنية هي التحدي الأقوى الذي تواجهه الثورة السورية اليوم. فهي لا تقل عن الفاعلية القمعية للنظام في الحد من انتشارها العام، وهي المشكلة الأولى التي ستواجه سورية بعد الثورة، وستكون موضوع السياسة الأبرز، بل تعريف السياسة، في سورية ما بعد الأسدية.

دار الحياة

الأحد، 13 نوفمبر 2011

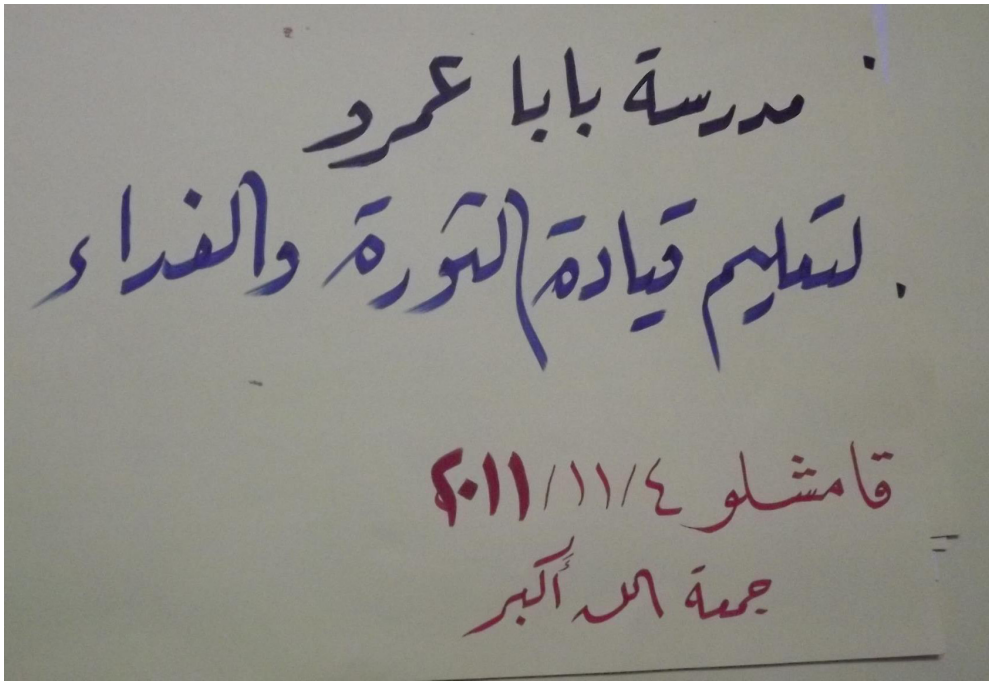

القضـــــاء العســـــكري

■ ياسر مرزوق

خاص سوريتنا

بالرغم من أن الناس متساوون أمام القانون وأن العدالة لا تتجزأ وأن القضاء هو مرجع المتخاصمين الوحيد مبدئيا على اختلاف شرائحهم وقضاياهم ووظائفهم ومواقعهم، والمحكمة مؤهلة للنظر في كافة القضايا المطروحة أمامها، إلا أن الواقع العملي والظروف الخاصة اقتضت إقامة المحاكم الخاصة والعسكرية والاقتصادية والمذهبية.

وإن كان هناك تيار قانوني عالمي لا يرى ضرورة إقامة محاكم خاصة فالمواطنون سواسية أمام القانون والقضاء واحد ومؤهل للنظر في القضايا على اختلاف مصادرها وأنواعها وإن كان المتخاصم مدنياً أو عسكرياً فالعدالة لا تتجزأ والقانون للجميع.

تنظيم المحاكم العسكرية في سوريا:

نظم قانون أصول المحاكمات والعقوبات العسكري أنواع المحاكم العسكرية واختصاصاتها وتشكيلها وسلطاتها وأماكن وجودها فقسمها إلى:

1 - قاضي الفرد العسكري.
2 - المحكمة العسكرية الدائمة.
3 - محكمة النقض العسكرية (الغرفة العسكرية في محكمة النقض).

ثم جاء المرسوم التشريعي رقم /109/ بتاريخ 17 آب 1968 محدثا محكمة الميدان العسكرية ومبينا اختصاصاتها وتشكيلها وسلطاتها.

ثم أنشأ المرسوم التشريعي رقم /78/ تاريخ الأول من كانون الثاني 1972 المحاكم الحربية وسلطاتها وسنعرض لهذه المحاكم بشيء من التفصيل:

قاضي الفرد العسكري:

ينظر قاضي الفرد العسكري في كافة الجنح والمخالفات المرتكبة من قبل العسكريين أو الواقعة عليهم عدا الضباط مهما كان الجرم المسند إليهم، كما يختص قاضي الفرد العسكري بالنظر في جميع الجرائم المتعلقة بالأسلحة والذخائر والأعتدة والتي تقع زمن الحرب أو في حالتي الحرب أو الطوارئ مهما كانت صفة مرتكبها عسكريين أو مدنيين (سوريا قانونا في حالة حرب لأن الهدنة شكل من أشكال الحرب).

كما يختص قاضي الفرد العسكري بالنظر في الجرائم التي قد لا يكون أحد أطرافها من العسكريين وهي الجرائم المحددة في المادة /6/ من قانون إعلان حالة الطوارئ الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /51/ لعام 1962 وهي:

أ) مخالفة الأوامر الصادرة عن الحاكم العرفي (مثال: الأمر العرفي رقم /137/ لعام 1975 الخاص بإطلاق الأعيرة النارية في المناسبات).

ب) الجرائم الواقعة على السلطة العامة وهي: -1 مقاومة موظف بالعنف المادة /369/ من قانون العقوبات العام. -2 ممانعة موظف من المادة /370/ من قانون العقوبات العام. -3 ضرب موظف المادة /371/ من قانون العقوبات العام. -4 تحقير وتهديد موظف الدولة المادة /373/ من قانون العقوبات العام. -5 تحقير رئيس الدولة أو العلم أو الشعار الوطني المادة /374/ قانون العقوبات العام. -6 ذم وقدح رئيس الجمهورية المادة /376/ من قانون العقوبات العام. -7 انتحال الصفات أو الوظائف العامة المادة /378/ من قانون العقوبات العام.

ت) الجرائم الواقعة على أمن الدولة والسلامة العامة ومن أهم هذه الجرائم: -1 الانتساب إلى جمعية سياسية أو اجتماعية ذات طابع دولي دون إذن الحكومة المادة /288/ من قانون العقوبات العام. -2 الانتماء إلى الجمعيات السرية المواد /-328 329/ من قانون العقوبات العام.

المحكمة العسكرية الدائمة:

تنظر المحكمة العسكرية الدائمة في الجرائم المرتكبة من العسكريين أو الواقعة عليهم وتختص أيضاً بالجرائم التي يرتكبها الضباط أيا كان نوع الجرم سواء أكان جناية أو جنحة أو مخالفة والعبرة للرتبة أثناء المحاكمة.

كما تنظر المحكمة المذكورة في الجرائم الجنائية الوصف المنصوص عنها في المادة /6/ من قانون الطوارئ.

في المناطق التي تعلن فيها حالة الطوارئ تحال إلى القضاء العسكري مهما كانت صفة الفاعلين أو المتدخلين أو المحرضين الجرائم التالية:

1 - مخالفة الأوامر الصادرة عن الحاكم العرفي.
2 - الجرائم الواقعة على أمن الدولة والسلامة العامة من المادة /260 وحتى المادة 339/ من قانون العقوبات العام.
3 - الجرائم الواقعة على السلطة العامة من المادة /369 حتى المادة 387/ من قانون العقوبات العام.
4 - الجرائم المخلة بالسلطة العامة من المادة /427 وحتى المادة 459/ من قانون العقوبات العام.
5 - الجرائم التي تشكل خطراً شاملاً من المادة /573 وحتى المادة 586/ من قانون العقوبات العام.

محكمة النقض العسكرية:

نصت المادة الأولى من قانون أصول المحاكمات العسكرية على إنشاء محكمة نقض عسكرية وتتألف هذه المحكمة من الغرفة الجزائية لمحكمة النقض على أن يستبدل أحد مستشاريها بضابط لا تقل رتبته عن عقيد.

وتنظر هذه المحكمة في الأحكام والقرارات القابلة للطعن بالنقض والصادرة عن المحكمة العسكرية الدائمة، وعن قضاة الفرد العسكريين.

المحاكم الحربية ومحاكم الميدان العسكرية:

تُشَكل هذه الأنواع من المحاكم بموجب قوانين خاصة وظروف استثنائية تستدعي وجودها، وهي غير تابعة لإدارة القضاء العسكري، لذلك فقد نص المشرع على استثنائها من خلال عدة خواص ناتجة عن الظروف غير الطبيعية التي أدت إلى إحداثها، ومنها:

1 - تشكيل هذا النوع من المحاكم لا يعتمد على الحقوقيين.
2 - لا يتبع في محاكماتها ولا تطبق قوانين أصول المحاكمات.
3 - لا يتمتع المتهم أمامها بأي ضمانات قانونية ولا يحق له حتى حق الدفاع.
4 - أحكامها مبرمة وتخضع للتصديق من المرجع الذي أنشأها أو من رئيس الدولة أو من وزير الدفاع.

نلاحظ هنا صلاحيات واسعة لرئيس الدولة القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة بذات الوقت ولوزير الدفاع، منحتهما إياها المادة /7/ من المرسوم التشريعي رقم /109/ لعام 1968.

بعد اللمحة السريعة عن تشكيل القضاء العسكري في سوريا لا بد من الإشارة أن المنخرطين في السلك العسكري يكونون قد تنازلوا عن جزء من حقوقهم وحرياتهم برضاهم كون الانتساب أو التطوع في القوات المسلحة اختياري، إلا أن المشكلة تكمن في امتداد اختصاص القضاء العسكري ليشمل المواطنين المدنيين في حال فرض حالة الطوارئ أو في الأحوال العادية بنصوص قانونية كما تقدم، فنحن والحالة هذه أمام مخالفة دستورية واضحة.

جاء في دستور الجمهورية العربية السورية المادة /25-2/ سيادة القانون مبدأ أساسي في الدولة والمجتمع./25-3/ المواطنون متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات. المادة /28-4/ حق التقاضي وسلوك سبل الطعن والدفاع أمام القضاء مصون بالقانون.

والأصل أن للمواطن سلوك طريقين من طرق الطعن، الاستئناف، والنقض، بينما لا يوجد في القضاء العسكري الدرجة الثانية للتقاضي (الاستئناف) فمن قضاء الدرجة الأولى إلى محكمة النقض فوراً وفي حالات ضيقة جداً، مما يحرم المواطن المدني من درجة من درجات التقاضي.

أما عن تعيين المرجع القضائي فقد أعطى قانون العقوبات العسكرية بالمادة /51/ صلاحية استثنائية للمحاكم العسكرية حيث نصت المادة المذكورة على ما يلي: (السلطات القضائية العسكرية هي وحدها التي تقدر ما إذا كانت القضية من صلاحيتها أم لا وكل خلاف يثار لدى مرجع قضائي آخر في شأن صلاحياتها يحال إليها لتفصل فيه من قبل النظر في الدعوى).

كما أن أي جرم يقع ويكون بين المرتكبين أو المحرضين أو المتدخلين شخص عسكري فإن الاختصاص ينعقد للمحاكم العسكرية على المدنيين والعسكريين وفي ذلك ظلم واضح للطرف المدني.

دعوى مخاصمة القضاة العسكريين:

قد ينجم عن مخالفة القاضي لأحكام القانون ضرر يلحق بأحد المتخاصمين وينشأ له بالتالي حق المطالبة بالتعويض، ولقد عدد المشرع في المادة /486/ من قانون أصول المحاكمات المدنية الأسباب الحصرية التي يمكن مخاصمة القاضي على أساسها وهي الغش والتدليس والغدر والخطأ المهني الجسيم أو الامتناع عن الإجابة على استدعاء قدم له أو الفصل فيه، وقد ينتج عن دعوى المخاصمة بطلان الحكم الذي أصدره القاضي.

من المثير للدهشة أن المشرع السوري قد افترض العصمة عند القضاة العسكريين وعدم ارتكابهم للخطأ أو للغش أو للتدليس.

فقد سكت قانون أصول المحاكمات وقانون العقوبات العسكري عن التعرض لهذا الموضوع بل وقد ذهبت محكمة النقض السورية والتي تعتبر أعلى مرجع تشريعي في سوريا إلى تكريس هذه الظاهرة بالقرار الصادر بالدعوى رقم 989 لعام 2003 (لا يجوز سماع دعوى مخاصمة القضاة فيما يتعلق بأعمال قضاة المحاكم العسكرية إذ يخرج هؤلاء عن دائرة القضاء العدلي ويسري ذلك حتى على أعمال القضاة العدليين المنتدبين إلى المحاكم العسكرية لأن أعمالهم في هذه المحاكم تخرج عن دائرة القضاء العادي).

كان على المشرع إنصاف العسكريين والمدنيين خاصة في حالة الأحكام الصادرة عن قاضي الفرد العسكري والتي تصدر أكثرها بالدرجة القطعية، فإذا اعترى قراره خطأ مهني جسيم أو شكل من أشكال الغش فلا سبيل أمام المتضرر إلا التسليم لهذا الخطأ والإنصياع له.

نقلاً عن "ممدوح عدوان" في كتابه "حيونة الإنسان" ص 128: (تعني كلمة البلطجي أصلاً صاحب البلطة أو حاملها وقد كان الوالي العثماني يتحرك بمرافقة حرس شخصي مسلح بالبلطات وبعد انتهاء عملهم الوظيفي يعودون إلى الحياة اليومية وبلطاتهم معهم فتتحول البلطة في يد كل منهم إلى أداة إرهاب مدعومة من السلطة التي تمثلها).

نقلاً عن "جان بول سارتر" من نصه "المتنمر": (هذا الشخص المتجبر الذي أطاش صوابه ما يتميز به من سلطة كاملة ومن خوف عليها لا يتذكر جيداً بأنه كان إنساناً وإنما يحسب نفسه سوطاً أو بندقية).

ثورة لوجيا

موقع العدد : سوريا المستقبل (http://syrfuture.com)

سوريتنا | محمد يونس

أحد المواقع الناشطة في متابعة يوميات الثورة السورية، يمكن اعتباره نشرة أخبار ثورية مفصلة لما يحتويه من أخبار ومقالات مدونة، بالإضافة إلى الفيديوهات والكاركاتير والاحصائيات الداعمة للثورة. غالبية مواد الموقع جديرة بالقراءة وتمثل موسوعة توثيق يومية لمجريات الثورة. لا يظهر الموقع بسهولة في مواقع البحث. ويمتلك صفحة متابعة على الفيس بوك تضم عدداً لا بأس به من المتتبعين.

المسؤول عن الموقع:

الموقع عضو في الهيئة العامة للثورة السورية كما يظهر من الصفحة الرئيسية للموقع، ولكن لا يوجد أي تعريف للقيمين عليه.

البرنامج المستخدم لإدارة الموقع:

Wordpress

مميزات الموقع :

• أبرز أقسام الموقع هي الصفحة الخاصة باحصائيات شهداء الثورة، حيث يتم استعراض عدد الشهداء في كل جمعة منذ بداية الثورة السورية حتى يومنا هذا. ويمكن تخصيص عرض احصائيات الشهداء حسب تفضيلات متعددة كالمحافظة، الشهر، الجنس، أطفال الحرية.

• تم تقسيم الموقع بشكل مرتب، والأقسام هي كالتالي : الأخبار – المقالات – الفيديوهات – أدبيات الثورة – توثيق تاريخي – مندسين كافيه – مظاهرات لا تنسى – روايات ثورة الكرامة.

• التفاعل مع الزوار: حيث يتيح الموقع لزواره إمكانية المشاركة في التدوين ويتم إدراج المشاركات في قسم المقالات، روايات ثورة الكرامة وأدبيات الثورة.

• قسم مظاهرات لا تنسى يحتوي على قائمة بأبرز المظاهرات الحاشدة في محافظات متعددة.

• قسم توثيق تاريخي يحتوي على عدد من المقالات المهمة التي تتحدث أغلبها عن تاريخ سوريا في ظل حكم آل الأسد.

• تتوفر إمكانية البحث خلال الموقع ومتابعة التحديثات عبر صفحة فيس بوك، تويتر أو الاشتراك بقارئ خلاصاتRSS ، وإمكانية استعراض مواضيع الثورة حسب التقويم .

سلبيات الموقع :

• تحتوي الصفحة الرئيسية على عدد كبير من العناصر مما يتطلب وقتاً أطول لتحميلها بشكل تام.

• قسم فيديوهات يحتاج إلى التحديث والمتابعة .

• عملية التسجيل في الموقع تحتاج إلى انتظار رسالة التفعيل الالكترونية لوقت طويل نوعاً ما .

• في صفحة تعريف الموقع "سوريا المستقبل" http://syrfuture.com/?page_id=4124 ورد عدد من الأخطاء الإملائية التي يجب تداركها وتصحيحها.

فارس الخوري (1873-1962)

■ حنين اليوسف

خاص سوريتنا

ولد فارس الخوري عام 1873 في قرية الكفير اللبنانية، وأمضى مدة دراسته الابتدائية في مدرسة القرية. ثم تابع تعليمه في مدرسةٍ مشابهة لها في صيدا. درس في الجامعة الأمريكية (الكلية الإنجيلية السورية) حاصلاً منها بتفوق على شهادة بكالوريوس في العلوم. درّس اللغة العربية والرياضيات في الجامعة الأمريكية لمدة سنتين، واستقال منها ليعمل في مجلة (المقتطف). سافر إلى دمشق، وعمل في إدارة المدارس الأرثوذكسية في دمشق والتدريس فيها. وإلى جانب ذلك، كان يعطي دروسًا في (مكتب عنبر). انتقل بعد ذلك ليعمل في القنصلية البريطانية عام 1902 حتى إعلان الدستور في الدولة العثمانية عام 1908. رشّح نفسه لمجلس (المبعوثان)، وعلى الرغم من مقاومة الاتحاديين له، فقد فاز بأكثرية كبيرة من الأصوات. وسعى من خلال عضويته في المجلس للتدخل لدى جمال باشا لصالح الوطنيين العرب، ولكنه اعتُقِل، وقدِّم للمحاكمة بتهمة التآمر على أمن الدولة. وكانت النتيجة أنه كاد أن يلحق بمَن أعدِمَ منهم في 6 أيار 1916. أمره جمال باشا بالخروج من منطقة الجيش الرابع، فغادر إلى اسطنبول، ليعود منها في أيلول 1918 ويشارك بعد خروج الأتراك، مع عدد من الشخصيات الوطنية، في رفع العلم العربي على دار الحكومة في دمشق.

ومع فيصل الأول، أصبح فارس الخوري عضواً في مجلس الشورى. وفي أول حكومة مدنية بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية عُهِدَ إليه بوزارة المالية. ومن مساهمات الخوري الوطنية مشاركتُه في السعي لتأسيس (المجمع العلمي العربي) بدمشق، وأيضًا تأسيس (معهد الحقوق)، الذي عمل فيه أستاذاً منذ العام 1919، وألف له كتابيه في علم المالية وفي أصول المحاكمات، كما وضع كتاب صكّ الجزاء. ومنذ العام 1920، عمل مشاوراً حقوقياً لبلدية دمشق، وبجهوده أصبحت (شركة مياه عين الفيجة) مفخرة من مفاخر الجهود الوطنية في سوريا.

وعندما تشكّلت الحكومة الوطنية برئاسة أحمد نامي باشا، كان فيها فارس وزيرا للمعارف، ولكن لم تعمّر هذه الحكومة سوى شهر ونيف، فاستقال مع عدد من وزرائها. وفي عام 1928 تشكّلت (الكتلة الوطنية) التي قادت النضال، وكان الخوري واحداً من مؤسّسيها ومن مجلس قيادتها. وفي شباط 1936، صدر عن المفوض السامي قرارٌ بفصل فارس الخوري وأخيه فائز من وظيفتيهما في التدريس في معهد الحقوق بتهمة "إثارة وتغذية حركة اضطراب سياسي مُضرّة بصورة خاصة بشبيبة الجامعة".

عندما تنكّرت فرنسا لمعاهدة 1936 وتعقدت الأوضاع الداخلية في البلاد، استقالت حكومة جميل مردم بك، وتشكلت على التتابع وزارتان، ما لبثتا أن استقالتا، وبعد ذلك استقال رئيس الجمهورية الأتاسي، حاول فارس الخوري – وكان رئيسًا للبرلمان – جهده الإبقاءَ على استمرارية الحياة الدستورية. لكن المندوب السامي، مستغلاً الاستقالات، أصرّ على حل البرلمان في 8 تموز 1939. وبقيت البلاد دون حياة دستورية حتى دخول "قوات فرنسا الحرة" سوريا وإعلان الجنرال كاترو إنهاء الانتداب عليها. وعاد فارس ليرأس المجلس النيابي المنتخَب حديثاً، حتى تشكيله لأول وزارة له بإلحاح عليه من رئيس الجمهورية، في 14 تشرين أول 1944، وكان عمره وقتذاك 72 عاماً. منذ ذلك التاريخ وحتى أواسط الخمسينات، شكل فارس أربع وزارات، وقضى شطراً كبيراً من هذه المدة في رئاسة المجلس النيابي، ولعب دورا رئيسياً في تمثيل سوريا في الهيئات الدولية. في عام 1945 ترأس فارس الخوري الوفد السوري الذي كُلّف ببحث قضية جلاء الفرنسيين عن سوريا أمام منظمة الأمم المتحدة، التي تم تأسيسها في نفس العام، حيث اشترك الخوري بتوقيع ميثاق الأمم المتحدة نيابة عن سوريا كعضو مؤسس. انتخب فارس الخوري عضواً في مجلس الأمن الدولي 1947 – 1948، كما أصبح رئيساً له في آب 1947.

ولتدرك قوة فارس الخوري عليك أن تجلس في المقعد المخصص لفرنسا في مجلس الأمن لمدة خمس وعشرين دقيقة، تستمع خلالها لشتائم السفير الفرنسي، ثم تقف بعدها بابتسامة حازمة قائلاً: "سعادة السفير، جلست على مقعدك لمدة خمس وعشرين دقيقة فكدت تقتلني غضباً وحنقاً. سوريا استحملت سفالة جنودكم خمساً وعشرين سنة، وآن لها أن تستقل". في هذه الجلسة نالت سوريا استقلالها، وفي 16 نيسان من عام 1946 أجلي آخر جندي فرنسي عن سوريا.

في عام 1954 طلب رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي من فارس الخوري تشكيل حكومة سورية، لكنها لم تستمر سوى أشهر معدودة.

كثيراً ما أسرّ فارس الخوري لمخلصيه بحبه للإسلام، ولا يمكننا أن ننسى يوم أبلغه الجنرال غورو أن فرنسا جاءت إلى سوريا لحماية مسيحيي الشرق، فما كان منه إلا أن قصد الجامع الأموي في يوم جمعة وصعد إلى منبره وقال: "إذا كانت فرنسا تدّعي أنها احتلت سوريا لحمايتنا نحن المسيحيين من المسلمين، فأنا كمسيحي من هذا المنبر أشهد أن لا إله إلا اللّه"، فأقبل عليه مصلو الجامع الأموي وحملوه على الأكتاف وخرجوا به إلى أحياء دمشق القديمة في مشهد وطني تذكرته دمشق طويلاً. لقد عمل الخوري في فترة من الفترات رئيساً للأوقاف الإسلامية، ولا يخفى علينا أن البعض اعترض على هذا حتى خرج نائب الكتلة الإسلامية في المجلس آنذاك (عبد الحميد طباع) ليتصدى للمعترضين قائلاً: "إننا نؤمّن فارس بك الخوري على أوقافنا أكثر مما نؤمّن أنفسنا".

أثناء شيخوخته استمر الخوري بالذهاب مرة كل عام إلى جنيف ليشترك في جلسات لجنة القانون الدولي التي كان عضواً فيها، وذلك حتى شباط 1960 حيث أصيب بكسر في عنق فخذه الأيسر، وكان يعاني من آلام المرض الشديد فنقل إلى مشفى السادات بدمشق، حينما منح جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من قبل الرئيس جمال عبد الناصر بناء على توصية المجلس الأعلى للعلوم والفنون. وكانت وفاة الخوري مساء الثلاثاء 2 كانون الثاني 1962، في المشفى.

هناك شارع في دمشق باسم فارس الخوري، وهو أقل ما يمكننا به ذكر هذا البطل على كل ما قدمه لسوريا خلال سنين عمره من عطاء ونضال.

هادي البحرة

ثورة «خلصت» تدخل شهرها التاسع الأسبوع القادم و كل المؤشرات تقول أنها لن تخلص إلا بخلاصنا من كامل النظام القمعي، واسترداد كافة حقوقنا الدستورية المغتصبة.

منيع الجربا

منتخب، حارسه هو عبد الباسط الساروت، وقلب الدفاع فيه مشعل التمو وغياث مطر ومعن العودات، ومحور ارتكازه طارق بدرة ويمان القادري، وخط وسطه حمزة الخطيب وإبراهيم شيبان وثامر الشرعي وهاجر الخطيب، ورأس الحربة لهجومه فدوى سليمان وعامر مطر ويحيى شربجي، رئيس رابطة مشجعيه إبراهيم القاشوش، ومدربه الشعب السوري، فهل من الممكن أن يخسر هكذا منتخب؟؟؟...

خزامى الشقرا

مبادرة الجامعة العربية تتضمن وقف العنف من الطرفين!!!! لذلك يرجى من الشهداء عدم السقوط بعنف وبذلك نكون قد التزمنا بتنفيذها من طرفنا

رولا الركبي

الأنظمة القمعية تنتج معارضة شبيهة بها،النظام زائل وكذلك معارضته،الشعب السوري هو الباقي الوحيد والمنتصر الأخير!

يحيى جابر

لا جديد تحت الشمس سوى الشعب السوري.. الذي يجعل الشمس «تدور» من الدهشة لشجاعته..والأرض «ثابتة «من الذهول لدمعته.

إياد حياتلة

ـ تِسعةُ شهداءٍ في بَـرزَهْ
ـ غَزّهْ ؟؟
ـ لا.. ليستْ غزّهْ
تُدعى بَـرزَهْ
حاضرةٌ في قلبِ الشامْ
في غَزّةَ كانَ الوضعُ تَـمامْ

رايسا حيدر

يقيمون في جرح دمشق
في وطن اسمه برزة
يترقبون رائحة الرصاص خلف النوافذ والجدران
يزاولون الدمع و الشهداء
وأنا خلف المسافات.. أنتظر
... كي يلوّح لي أحدهم وينادي : تعالي
مازلنا بخير
وقد بدأت مواسم الفجر.. وصباحات الياسمين

سعاد جروس

من حمص إلى دمشق.. هذه الليلة وسط سماء ملبدة بالغيوم شعشع القمر مكتملا.

أمام جلال نوره، أنحت أشجار السرو على جانبي الطريق تصلي.. السلام عليك حمص، يا ممئلئة نعمة، مباركة أنت بين المدن، الرب معك، مباركة ثمرة أرضك ومائك وهوائك.. يا حبنا يا حمص صلي لأجلنا..

عروة نيربية

جينا من الصبح بكير، على صوت النواعير، سوريا بدا... الحموية.

يم مشهدي

عزيزي الموالي للوالي... قبل ما تسألني وعيونك عم تقدح شرر أنو شايفة لوين بدها تروح البلد... عالطائفية!!!!! لا ياه... بحب قلك عزيزي الموالي للوالي أنو قبل ما تسألني لوين رايحة البلد، قلي من وين جاية... ومين حطها للبلد على هل الطريق... ويحل طمنك أخيراً أنو لا يا عزيزي الموالي للوالي البلد مو اريحة عالطائفية لأنو فتحلي عينك بس شوي... شوي هاه... وبتبقى بس تفتحهن قلي مين الطائفي فيهن... ووقتها بتعرف لوين رايحة البلد... عالحرية... على قانون يحمي الناس مو العشيرة...

عماد عربي كاتبي

كل يوم جمعة الملائكة مجتمعة.. بالآلاف..

غيداء العودات

بصرى يا مهد الطفولة الأولى إنّهم يقتلوني بك، يا آلهتهم ارحميهم وساندهم وارحمي قلوبنا إننا في درعا مكلومين

عماد العبار

لكل إنسان خياراته في هذه الحياة؛ هيئة التنسيق اختارت طريقها، فاحتل ذكرها اليوم الساحات والطرقات.. يمكن للعين أن تقاوم أي مخرز، إلا مخرز إرادة الشعوب..

وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون..

هنادا السيد عفاش

في صالة الإنعاش... بينما كنت بين الموت والحياة... صوت خفي همس بداخلي أيقنني بأني عدت إلى الدنيا... أنصت له فسمعت: سوريا.....سوريا.....سوريا....

صالح الحاج صالح

عشية اجتماع اللجنة الوزارية العربية، يحقق النظام نقطة لصالحة بتحويل جزء من الصراع بين أطراف المعارضة.

أنور العمر

اليوم أثناء تشييع شهداء برزة اللذين سقطوا برصاص الأمن السوري بالأمس.. وقبل أن تنفض المظاهرات هتف أحد الشباب قائلاً (أنا علوي وأريد اسقاط النظام).. فرفع على الأكتاف و بدأت الهتافات تعود بأقوى مايمكن و بدأ شباب من برزة و الميدان و القابون و الكسوة الذين شاركوا بالتشييع بالهتاف (يا علوية السنية معاكم للموت)

فيرد الشاب (يا سنية العلوية معاكم للموت) و كان أن اجتمع الناس و والدة أحد الشهداء تبكي.. و كان من المشاركين في التشييع شيعة و سنة و أكراد و شراكس و مسيحيين و علويين.. عن أي طائفية يتحدث النظام؟؟؟

و للعلم فإن أهالي برزة استضافوا الناس اللذين أتوا من خارج برزة ببيتوهم و تقاسموا معهم الطعام بسبب التواجد الأمني الكثيف و تطويق برزة.. واحد واحد الشعب السوري واحد.. شكرا سوريا..

شي بحط العقل بالكف !!!

برزة مغلقة من كافة الأماكن خوفاً من زحف المتظاهرين والمشيعين إليها... طيب!

حالفني الحظ بأني ابن هذه المنطقة وأعرف سراديبها فدخلت... طيب!

شيعنا الشهداء التسعة إلى الجنة بسلام .... طيب!

...هتفنا للشهيد والحرة والكرامة.... طيب!

كان هناك نساء يهتفن ويزغردن ويقولن: شباب برزة... اللّه يحميكن.... طيب!

وكانت غالبية الجمع من دمشق وريفها... ومن كل الأطياف والأعراق والطوائف والملل نساءً ورجالا، وهذا ليس بغريب على ثورتنا السورية العظيمة.... طيب!

ولكن (يلي بحط العقل بالكف) أنني تعرفت مصادفة على شابة من حمص من وادي السايح بالتحديد.... تسكن بالخالدية... وجاءت من قلب كل الموت.... لتشارك بالتشيع في برزة وترجع إلى حضن حمص..... وقد دعتني للتظاهر في الخالدية وكأنها تدعوني إلى عرسها... آه...

ثم أكملنا التشيع إلى باب المقبرة فوقفت أمام الباب تراسم صليباً سورياً بامتياز... ولتفت نحونا تهتف: (يا برزة حمص معاكي للموت). عن أي موت تتحدثين يا بنت حمص.....

أضعاف الآلهة لا يموتون بل هم مخلدون بالخالدية وبابا عمرو... والبياضة... وباب سباع.... وتلبيس..... gggggggggggg

جلال الطويل
في أثناء تشييع شهداء برزة البلد
برزة البلد 2011/11/10

| من الواضح أنك مطمئنة إلى مستقبل سوري لا ضيم فيه يلحق بالأقليات، من أين هذا الاطمئنان؟

| | سوريا بلد عمره سبعة آلاف سنة، عد إلى تاريخها، لن تقرأ فيها عن أي حرب أهلية. حدثت في التاريخ حوادث بسيطة لم تصل إلى حد حرب أهلية. تكوين المجتمع السوري لا يشبه تكوين المجتمع العراقي مثلاً أو اللبناني. لا تعادل لدينا في النسب بين الأقليات، لدينا أكثرية عربية بحدود 90٪ ولدينا أكثرية مذهبية بحدود 79٪ من عدد سكان سوريا، ولأكن أكثر صراحة ووضوحاً، لأول مرة منذ زمن بعيد تشعر الأكثرية المذهبية بقيمتها كعدد في الشارع السوري وبقدرة هذه الميزة العددية على التغيير، لأول مرة تشعر بقوتها كأكثرية. هذه القوة، مع الاختلافات الكبرى في قلب هذه الأكثرية، تجعل منها منفتحة ومسترخية مع الأقليات، عكس ما يحصل مع الأقليات التي انتبهت إلى حجمها الحقيقي فانكمشت وازداد خوفها، منها من التحق بالثورة ومنها من صمت ومنها من يدافع عن بقاء النظام وفي ظنه أنه يدافع عن وجوده. يمكن أن نضيف إلى هذه الأقليات أيضاً الفئات التي تنتمي إلى الأكثرية وتدافع عن النظام لارتباط مصالحها به، هو أيضا نوع من الدفاع عن الوجود، شخصياً، أؤمن أن الدولة المدنية والديمقراطية ودولة المواطنة والقانون هي الضامن الوحيد لكل السوريين، لا أحب فكرة الأقليات ولا أحبذ استخدامها، تعطي انطباعا أحيانا كما لو أن هذه الأقلية أو تلك وافدة على سوريا ويجب أن تطمئن على عدم تهجيرها، تبدو كما لو أنها طارئة على المجتمع السوري، الانتماء لسوريا أولا هو ما يضمن حقوق الجميع، سوريا الجديدة قادمة، سوريا الحرة الديمقراطية المدنية العادلة مع جميع أبنائها قادمة، سوريا الحاضنة لكل قضايا الأمة، الحاضنة للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي والمناهضة لكل أشكال الهيمنة والتدخل الخارجي سواء أكان غربياً أم شرقياً قادمة، سوريا الموحدة بكامل أراضيها بما فيها الجولان ولواء إسكندرون قادمة، كأني أرى مستقبلاً سوريا لا تشوبه شائبة، قد لا يراه جيلنا ولكن حتماً ستراه أجيال سورية تستحق الكرامة وتستحق الحرية، سيسجل التاريخ أن الثورة السورية واحدة من أعظم الثورات في العصر الحديث، على الخائفين أن ينتبهوا إلى المتظاهرين وشعاراتهم ولافتاتهم، عليهم أن يروهم بحب أولا، بإحساس بالشراكة والمواطنة، بعين الخائف على سوريا، لا على مصلحة ولا على مكتسب وهمي ولا على طائفة، تجربة اكتشاف سوريتي داخلي وسوريتي مع الآخرين لا تعادلها أية تجربة أخرى ـ أشعر بالأسى حين أرى أشخاصاً أحبهم يرفضون الخوض في هذه التجربة بذرائع مختلفة، لكن الجمال القادم ولو بعد حين سيشملهم أو سيشمل أبناءهم فيما بعد.

السؤال والجواب من: حوار مع الشاعرة السورية رشا عمران | راشد عيسى - جريدة السفير

عاصمة الثورة.. حمص
مدينــة ثائــرة منــذ أقــدم العصــور

■ خالد كنفاني

خاص سوريتنا

حمص مدينة عريقة وجدت منذ أقدم العصور، ولها اسم ثان باللاتينية والإغريقية هو EMES وهي أقدم ذكر لحمص، وثبت للدارسين أن أصول سكان حمص من العموريين والكنعانيين والآراميين من العرب القدماء وثبت أن العموريين بدؤوا بالهجرة إلى حمص منذ الألف الثالث ق. م وهذا التاريخ إن دل على شيء إنما يدل على قدم هذه المدينة. مر على حمص عهود كثيرة منها عهد المكدونيين الذين سيطروا عليها من عام 731 ق. م 64 ق. م وكان لحمص تأثيرها على الثقافة الهلنستية وذلك واضح من اللقى الفخارية والكتابات المنقوشة على الحجارة التي وجدت في أنحاء المنطقة وبعد ذلك حكمها الرومان زمن أسرة شمس غرام التي دلت أسماؤها على عروبتها وكان لها سلطان دينية وزمنية سياسية وحتى بعد دخول الرومان حمص بقي لهذه الإمارة استقلالها الذاتي وحقها في صك النقود.

ومنذ أوائل القرن الثالث الميلادي حالف الحظ تدمر وازدهرت ثراء وترفعت تدمر إلى أعلى المستويات السياسية وذلك زمن ملكتها زنوبيا عام 267 م، تلك الملكة الحكيمة التي استطاعت أن تضم إلى مملكتها أصقاعاً وتؤسس إمبراطورية فكانت بذلك تنافس الإمبراطورية الرومانية مما أفزع الرومان فأرسلوا لها الحملات للقضاء عليها. وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين كانت سورية من نصيب الإمبراطورية الشرقية البيزنطية وقسمت سوريا إلى مناطق منها منطقة فينيقية ومركزها حمص .

خلال حكم الروم لسوريا وحمص توافدت هجرات القبائل العربية إلى المنطقة منها عرب الغساسنة وتنوخ وكلب في سورية وعرب الحيرة وكندة في العراق.

وذكر المسعودي في مروج الذهب أن أول من نزل الشام قضاعة انضافوا إلى ملوك الروم، فملكوهم بعد أن تنصروا على العرب في الشام فكان أول ملوك تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم وردت سليم الشام فتغلبت على تنوخ. وذكر اليعقوبي: أهل حماة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء وتنوخ، وأهل حمص جميعاً يمن من طيء وكندة وحمير وكلب وهمذان وغيرهم. وبعد الفتح الإسلامي نزلت في حمص قبائل طيء وحجر وكلب وهمدان.

فتح أبو عبيدة بن الجراح حمص صلحاً سنة 14 هـ ثم جلوا عنها وأعادوا الجزية إلى أهلها فحزن عليهم أهل حمص، ثم فتحت المدينة بعد معركة اليرموك حرباً سنة 15 هـ 636 م بعد حصار دام سنتين، وقتال شديد بقيادة خالد بن الوليد، وضرار بن الزور، وميسرة بن مسروق العبسي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي واستشهد فيها من المسلمين لا يقل عن 235 صحابيا منهم يقال عكرمة بن أبي جهل ثم تسلمها السمط بن الأسود الكندي وقسّم منازلها بين السكان الجدد، وعندما غادرها جيش المسلمين خلف عليها عبادة بن الصامت.

كانت حمص بداية الفتح الإسلامي تضم قنسرين والرستن وحماه وسلمية وشيزر وأفاميا وجسر الشغور ومرافئ طرطوس وبانياس وجبلة واللاذقية والفرقلس والقريتين وتدمر. وأصبحت أحد الأجناد الأربعة في بلاد الشام.

دانت البلاد الإسلامية للخليفة معاوية بن أبي سفيان بعد تنازل الحسن له سنة 41هـ 661م، وكان لحمص اهتمام زائد بالسياسة والخلافة، ووجهة نظر متميزة ومركز ثقل في الأحداث منذ البداية، فشارك أهل حمص بفعّالية في الأحداث والفتن والتمردات في وقت مبكر من الفتح الإسلامي. بدايتها كانت شكايتهم المتكررة لعمالهم رغم صلاحهم وزهدهم كسعيد بن عامر، وقيامهم بطرد ولاتهم أو قتلهم فتعرضت المدينة للحصار، والفتح عنوة والتدمير والخراب والقتل مرات عديدة. وعند موت يزيد بايع الناس ابن الزبير ومنهم الضحاك بن قيس والنعمان بن بشير الأنصاري بحمص ثم انقلب عليهم الحمصيون. وبايع الأمويون في دمشق مروان بن الحكم وأصبح الناس بالشام فرقتان اليمنية انحازت مع مروان والقيسية مع الضحاك والنعمان، وقتل الضحاك بمرج راهط وفر النعمان من مدينة حمص خلسة مع أهله فلحقه قوم من حمير وباهلة حمص فقتلوه وردوا رأسه مع إلى المدينة سنة 65هـ.

ثار الحمصيون على يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك لمقتل الوليد، وطالبوا بدمه وجندوا الأجناد وهاجموا قصر العباس بن الوليد في حمص وخربوها، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ووافقهم أمير حمص مروان بن عبد الله بن عبد الملك، وتجهز الطرفان للمعركة ونصحهم مروان بعدم الخروج والتحصن بالمدينة فثاروا عليه وقتلوه مع ابنه وولوا عليهم أبا محمد السفياني، وتوجهت قوات حمص إلى دمشق ونزلت قرب عدرا على مشارف دمشق فكبستهم جند عبد العزيز بن الحجاج وقتلت كثيراً منهم فانهزموا وبايع أهل حمص يزيد.

اتهم الحمصيون العباس بن الوليد فارس بني مروان بالمعاونة على قتل الوليد فانتفضوا عليه وهدموا داره ونهبوها وسلبوا حرمه وسجنوا ابنيه ...تولى بعد يزيد أخوه إبراهيم سنة 126هـ 743م وامتنع أهل حمص عن مبايعة إبراهيم وبايعوا مروان، وبعد ثلاثة أشهر ثار أهل الشام وحمص على مروان وحاصر مروان المدينة وفتح جماعة من حمص له الأبواب فهرب المتمردون من باب تدمر فصلب القتلى على الأسوار وهدم قسماً من سور المدينة وثار سليمان بن هشام في دمشق ثم ارتد إلى حمص وبنى ما تهدم من سورها وكمنوا لمروان في الحقول ثم تحصنوا في المدينة فحاصرهم مروان ورماها بالمجانيق، فطلب أهل حمص الأمان وتسلم رؤوس التمرد. وعندما انهزم مروان أمام أبا مسلم الخرساني في العراق انحاز إلى الشام، ومر بحمص فلحق به الحمصيون يريدون قتاله والثأر منه، فكمن لهم في الطريق وطلب منهم الرجوع فأبوا فهزمهم وردهم إلى المدينة.

تناقصت أهمية حمص، ولكن في عهد الخليفة العباسي الأمين، عام 194 هجري ثارت حمص فأرسل من يخربها ويحرق نواحيها، وكما ثاروا في عهد المتوكل 240-241 هجري عهد الخليفة المستعين عام 248 هجري، فكان جزاء حمص في كل مرة تخريبها وتشريد أعيانها وقتل أبنائها. في عام 333 هجري 924 م خضعت حمص لسيف الدولة الحمداني فارتبطت بحلب حتى عام 406 هجري 1019 م فكان أبو فراس الحمداني أحد ولاتها في هذه الفترة. عانت حمص الويلات بسبب الحروب القائمة بين الحمدانيين والبيزنطيين المتمركزين في إنطاكيا إذ هاجمها الإمبراطور "نقفور الفقاش" عام 969 م بعد وفاة سيف الدولة فنهبها وسبى أهلها ودمر جامعها ثم أحرقها بعد أن أخلاها من أهلها وفي عام 975 م زحف إليها الإمبراطور يوحنا واستولى عليها فنالت النهب والحرق مرة ثانية، وفي عام 1002 م أحرقها دوق إنطاكية البيزنطي بعد التجاء أهلها إلى كنيسة مار قسطنطين. وبعد زوال الدولة الحمدانية تقاسم حمص أمراء البادية بني مرداس السلطة وفي عام 1086 م اعترف أمير حمص "خلف بن ملاعب" بسلطة الفاطميين على حمص وهذا أزعج السلاجقة في أصفهان فزحفوا إليها فمنحت إلى السلجوقي تاج الدولة (تتش) ومن ثم إلى وضاح الدولة الذي قتله اسماعيليون عام 491 هجري. وبين عامي 1116 – 1126 م، خضعت حمص للاحتلال الصليبي مرتين ولكن في عام 1138 م أعادها عماد الدين الزنكي بعد حصارها، ولكنها آلت للأيوبيين فرمموا أسوارها وأصلحوا تلفها.

بعد عام 1516 م اعتبرت حمص أحد الألوية الغالبة لطرابلس في الربع الأول من القرن الثامن عشر وعام 1725م الحقت حمص مع حماة بولاية الشام . وبين عامي 1833-1242 م آلت حمص للحكم المصري تحت سلطة ابراهيم باشا ولكن في عام 1866 م قرر السلطان العثماني عبد العزيز اعتبار حماة متصرفية وحمص مركزاً لحكومة اللواء، ولكن بعد عام 1867 م اعتبرت حمص قائم مقامية تابعة لحماة وذلك لاسباب أمنية تتعلق بكثرة غارات البدو على حماة الشركسية المسلمة لتكون هذه القبائل بمثابة خط دفاعي أمام غارات البدو ولكن بعد ظهور حركات الطوراني والتتريك في السلطة العثمانية وانخراطها في أحداث الحرب العالمية الأولى والمجازر التي نفذها جمال باشا السفاح والي سوريا عندما أعدم عدداً من المفكرين والقوميين السوريين فقدمت حمص عبد الحميد الزهراوي ورفيق رزق سلوم وعزة الجندي. ولكن بقيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين عام 1916م وابنه فيصل تم طرد العثمانيين من سوريا فتم تشكيل حكومة الملك فيصل في سوريا فبرزت وجوه من حمص في الوزارة التي تألفت، ولكن فرض الانتداب الفرنسي على سوريا جعل أهالي حمص يحملون مشاعل الثورة والمعول لبناء بلدهم وتحريرها من الاستعمار الفرنسي.

كان لحمص نصيب من الثورة السورية الكبرى 1925، أشركهم فيها الاستعمار الفرنسي الأخرق وجعل كل حمصي ثائراً بإرادته وبدلا من أن يكون الثوار خمسين ثائراً جعلهم الاستعمار مائة ألف ثائرا إذ صب نقمته على الجميع فأصبحوا كلهم ثواراً. لقد اندلعت الثورة في جميع أرجاء الوطن ولاسيما في دمشق والغوطتين وحمص وحماة وجبل الزاوية وجبل حوران حيث تكبد المستعمرون كثيراً من المصاعب والمتاعب وذاقوا القتل والفتك من صمود الشعب السوري وخاضوا معارك أرهقت الجيش الفرنسي وخزينة بلاده، حيث حشدت القوة الباغية مائة وعشرة آلاف جندي محارب هلك أكثرهم على هذا الثرى.

أخمدت الثورة لكن نارها في حمص لم تخمد... وكانت مطبوعة في حمص بطابع اثنين من المجاهدين (أكرم النشواني وخيرو الشهلة)، وإلى جانبهما لفيف من المجاهدين لا يتجاوزون عدد أصابع الكف. لم يلقوا السلاح وظلوا يحاربون بشجاعة في البساتين والحقول والمزارع والمدينة والبيوت والشوارع لأربع سنوات متتالية. فقدمت حمص الكثير من الشهداء وعلى رأسهم (فؤاد رسلان وخير وسعيد الشهلة) إلى أن نالت سوريا الاستقلال في 17 نيسان عام 1946 م.

كأنك في
بيروت،
ليست بيروت
الأن،
بل بيروت
الحصار
والاجتياح
مطلع
الثمانينيات..

إنها حمص..
نعم حمص..

كانت بضع
ساعات،
لم يكن
بها متسع
لكل شيء،
استطعنا أخذ
هذه الصور،
على حين غرة
من فوهات
القناصات
المنتشرة بكل
مكان..

لنا الكثير
لنرويه عن
حمص..
لكننا نترك
لكم هذه
الصور،
فهي تروي ما
لا يروى...

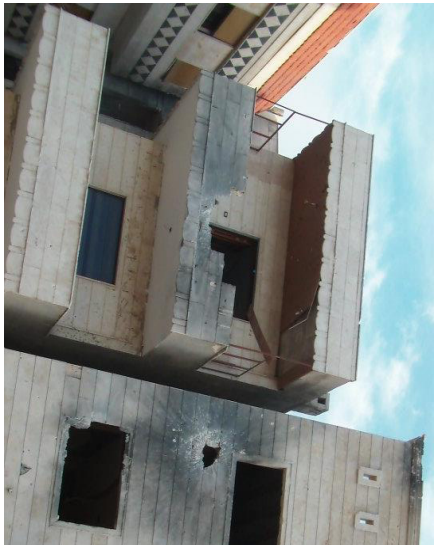

مناضل من 'وعر' حمص

■ إلياس خوري

تسنى لي أن أشاهد فيلما قصيرا مدهشا صنعته مخرجة سورية شابة بعنوان 'وعر'. اسم المخرجة لا اعرفه، لأن هذه الفنانة المناضلة آثرت أن لا توقع عملها، كي تبقى قادرة على المساهمة في ملحمة الانتفاضة السورية الكبرى. رأيت الفيلم في منزل أحد الأصدقاء، وعشت لحظات من الانبهار أمام سحر الناس وهم يصنعون التاريخ وسط الدم والموت.

الوعر هو اسم أحد أحياء حمص، المدينة التي صارت اليوم عاصمة الثورة السورية، والفيلم يقدم مشاهد من لحظات الفرح الشعبي بالثورة وبقدرتها على تحرير الفرد والمجتمع، وهي تنشبك بلحظات القمع الدموي، الذي ينشر الموت والدمار، في سورية.

صحيح أن بطل الفيلم هو المدينة، بأحيائها التي اتخذت أسماؤها دلالات تمزج البطولة بالشجاعة، والحلم بالإرادة: الخالدية، بابا عمرو، باب السباع، الوعر، باب الدريب، ساحة الساعة الجديدة، ساحة الساعة القديمة... لكن من قلب هذه الأحياء يبرز فتى في أوائل العشرينات من العمر، يطير كفراشة محمولاً على الأكتاف ويتقوس كسهم قبل أن ينطلق في الأفق. يحمله صوته إلى الأعلى ويرفع يده معطيا إشارة البداية كقائد اوركسترا، وحين يمضي ترافقه هتافات المتظاهرين: 'اللّه يحميك'.

اسمه عبد الباسط الساروت، حارس مرمى فريق الكرامة لكرة القدم، وحارس مرمى منتخب سورية للشباب، تحمل ملامحه البدوية عطشا لا يرتوي إلى الحرية، كما يحمل صوته انتشاء بالهتاف والأغنية. يؤلف الأغاني والهتافات، محولا التجمع الليلي في أحياء حمص، التي يخترق الرصاص هواءها، إلى عيد شعبي، والهتاف إلى ما يشبه الابتهال لوطن ذبيح، ولإرادة شعب قررت أن لا تنحني.

'ارحل صرخة الشجعان/ صرخة حضر مع عربان/ صرخة لكل الأديان/ صرخة سورية وترابها/ يرحل هو وكلابَه/ والدمار يللي جابَه'.

عربات ال ب.ت.ار. العسكرية المصفحة تحتل الشوارع الخالية، وجه رجل مغطى بالظلال يروي عن مجازر حمص الثلاث التي حصلت في 17 أيار/مايو، أصوات طلقات رشاشات الدبابات تخترق المكان، حكايات عن الجريح الذي يدخل إلى المشفى مصابا في يده، فيُسلم بعد أيام إلى ذويه جثة هامدة.

خراب يستند إلى خراب، امن وشبيحة لا يتوقفون عن القتل، والدم يغطي المدينة. لكن هذا المشهد المخيف يتبدد أمام سيل المظاهرات الشعبية. كيف استطاع السوريات والسوريون أن يصنعوا هذه الأعجوبة المستمرة منذ سبعة أشهر، يملئون الشوارع في تحدٍ واع للرصاص؟ من أين تأتي الحنجرة بالشجاعة كي تواجه السلاح، وكيف تحولت الصدور إلى متاريس للحرية؟

بطل هذا الفيلم هو الصوت في مواجهة البندقية. قال عبد الباسط الساروت 'سلاحنا صوتنا'، وروى كيف وضع النظام جائزة قدرها مليونا ليرة سورية لمن يساعد على إلقاء القبض عليه بصفته سلفيا! قال كلمة سلفي وابتسم مستهزئا، ثم ارتفع صوته بالشدو: 'سكابا يا دموع العين سكابا/ على شهدا سورية وشبابها'.

ينهض بطل هذا الفيلم من الحناجر، فيصير الصوت الإنساني قادرا على مواجهة طلقات الرصاص، والانتصار عليها. شيء يشبه العرس، وطقوس تمزج الموت بالخصب، وحكاية يصنعها أبطالها وهم يموتون من اجل الحياة.

يبدو عبد الباسط الساروت وكأنه نبت في المكان، حارس المرمى يصير ابنا لحالة شعبية اسمها الثورة، وأصوات الشباب في حلقة الإنشاد الليلية تقدم صورة لمستقبل هو نقيض فكرة أبدية النظام التي روجت لها آلة الدعاية الرسمية.

شاهدنا في الفيلم صورة وحيدة للرئيس السوري بشّار الأسد وهو يقف في مشهد صنعت خلفيته صورة والده، وتحت الصورة كتبت العبارة التالية: 'الأسد أو لا أحد'. يبدو أن هذا الشعار الجديد هو استكمال لشعار قديم وضع تحت صور حافظ الأسد: 'قائدنا إلى الأبد والى ما بعد الأبد'. صورة بشّار في حمص تضيف معنى جديدا للشعار القديم، الهدف من عبارة 'لا أحد' إخافة الناس، الأبد أو لا أحد، وفي هذا تصل عظامية الديكتاتورية إلى ذروتها، فالفراغ الذي صنعه الاستبداد حول نفسه، يريد اليوم أن يبتلع الوطن.

فكرة اللا أحد يواجهها السوريات والسوريون اليوم بفكرة كل الناس، كل الناس يملئون الشوارع، ويتحدون الفراغ الذي يفرضه الرصاص ويمحون صورة اللا أحد بشعارات الحرية: 'هبت من درعا ثورة/ بتنادي بالحرية'.

الحرية هي نقيض اللا أحد، والديمقراطية هي نقيض ابد الاستبداد. هذا ما ترويه لنا مخرجة سورية شابة، صورت فيلمها تحت الرصاص، مقدمة نموذجا لمعنى الفن في زمن الثورة.

حارس المرمى الذي تحوّل إلى منشد حمص، ليس سوى أحد الظواهر التي صنعتها الانتفاضة الشعبية الكبرى في سورية، وهي ظواهر تعلن دخول الناس إلى الفضاء العام، وقدرة المخيلة الشعبية على صناعة الحياة وسط الموت، وولادة جيل من الشباب سبق له أن صبغ السبع بحرات في دمشق باللون الأحمر، محولا الماء إلى دم يتدفق كما تتدفق دماء الشهداء.

عندما قتل الشبيحة إبراهيم القاشوش وقطعوا حنجرته، اعتقدوا أنهم بإخراس صوت الشاعر والمنشد السوري يخرسون صوت الثورة، فنبت لهم ألف منشد ومنشد، وصارت أهازيج شبان الأحياء تحتل السماء.

حين انتهى عرض فيلم 'وعر'، وجدت نفسي أردد بشكل عفوي مع شباب حمص هتافهم: 'عبد الباسط / اللّه يحميك'.

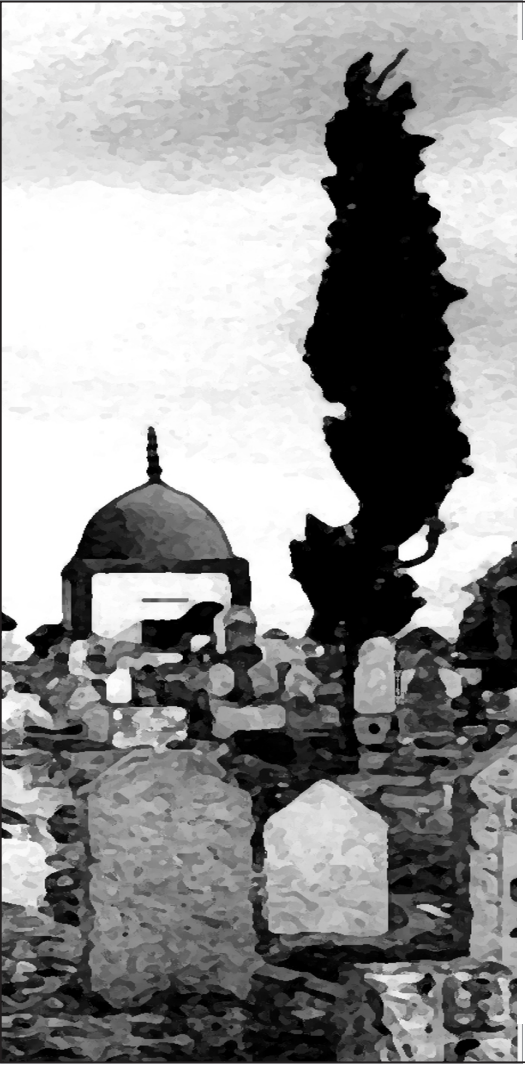

(إلى شهيد)

أيُّهَا المَأْجُورُ ،
سَيُعمِيْكَ وَلَعُكَ بالمَقَابِرِ
وسَيَقُودُكَ الجُنُونُ إلَى كَابُوسِ سَيِّدِك.

سَتَجُرُّكَ الظُّلمَةُ إلَى الظُّلمَة ،
وستَدمَى عَينَاكَ عَطَشَاً لحَفْنَةٍ مِنْ ضَوْءٍ
فَلَنْ تُبْصِرَ إلَّا أَسمَاءً مُخَرَّمَةً بِرَصَاصٍ.

عَلَى شَاهِدَةِ قَبْرِي ،
قَدْ نَحَتُوا بآلامِهِم صَوْتِي:

"اِرجِعْ إلى جَحِيمِكَ
فلا يَرقُدُ هُنَا مَنْ قَتَلْت".

SIYAMAND JANGO
Brussels,
10 Novmeber 2011

شهداء سورية

مجموع الشهداء (4137)

دمشق: 113
ريف دمشق: 330
حمص: 1379
حلب: 75
حماه: 555
اللاذقية: 229
طرطوس: 93
درعا: 643
دير الزور: 147
الحسكة: 33
القنيطرة: 3
الرقة: 15
ادلب: 454
السويداء: 16

711 عدد العسكريين
3426 عدد المدنيين
102 عدد الإناث
3769 عدد الذكور
47 عدد الأطفال الإناث
218 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 13 / 11 / 2011